الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقا يد *تلمســـــان*

الملحقة الجامعية *مغنية*

قسم اللغة العربية وآدابها

شعبة: أدب عربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس

ملامح الصوفية في شعر صلاح عبد الصبور

إعداد الطالبة :

☜ عوريبة عتيقة

تحت إشــراف الأستاذ :

- بغداد عبد الرحمان

السنة الجامعية: 2013 / 2014

إهداء

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين، ومن صار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:
أهدي ثمرة جهدي إلى من قال الله فيهما (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) .
إلى مصدر الحنان منبع الأمان ومصدر الخير والاطمئنان إلى من ربتني ، فأحسنت تربيتي، وسهرت على رعايتي وتعبت من أجلي وانتظرت نجاحي، إلى قرة عيني * أمي الحبيبة * أطال الله عمرها.
إلى من ضحى بماله وبما يملك لتوفير الراحة والسعادة لي إلى من علمني حب العلم والمعرفة إلى من أحسن تأديبي إلى سر نجاحي وأملي في الحياة * أبي العزيز * حفظه الله.
إلى من قاسموني حلو الحياة ومرها، على أخي العزيزواسيني أتمنى له التوفيق في حياته.
إلى أختي الحبيبة نعيمة وعائلتها.
إلى أختي والقريبة إلى قلبي مغنية وعائلتها.
وإلى الأطفال، معاذ، عبدالإله، عبد الخالق.
وإلى خطيبي يوسف وعائلته الكريمة.

عتيقة

© www.celestill.net

مقدمـــــــة:

يعتبر التصوف من الحركات الدينية التي انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث هجري كنزعة فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف وملذات الحياة، ثم تطورت تلك النزعات عبر قرون حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم التصوف.

فتميز العديد المجتمعات الإسلامية بها على غرار الطبقة الفنية والمثقفة ،اهتمام هذه الأخيرة بهذا الموضوع كان من أهم دوافعنا لاختياره بالإضافة إلى فضولنا في التعرف عليه أكثر، واعتمدنا في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي، وما هذه الخطة التي وضعناها إلا تصور عام يفي بدراسة موضوع كهذا، أولا يبلغ منه.

إذ قسمنا هذه الخطة إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، فأعطينا في المدخل دراسة تمهيدية لقضية التصوف، وتطرقنا في الفصل الأول للتعريف بشاعرنا صلاح عبد الصبور وكل ما يتعلق به من مولد ومؤلفات وشعر حر ومسرح ومواقف فكرية وأخيرا شعره الصوفي.

أما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة قصيدتين من شعر صلاح عبد الصبور الصوفي دراسة فنية وأدبية ، وجاءت الخاتمة عبارة عن أهم النتائج التي توفرت لنا من خلال المطالعة والتطبيق وقد لا يستوفي هذا البحث كل جوانب الموضوع، لكننا حاولنا قدر المستطاع تسليط الضوء على أهم ما يتعلق به، فهي خطة ارتسمت في مخيلتنا من خلال مطالعتنا لبعض المصادر والمراجع بحثنا سواء كانت تاريخية او أدبية إضافة على ديوان "الناس في بلادي" لصلاح عبد الصبور.

نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المناقش الذي أعاننا في انجاز هذا العمل، والأستاذ المناقش الذي قبل مناقشتنا لهذا الموضوع.

وأخيرا نسأل الله النفع والانتفاع بهذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

التصوف مرتبة عالية، وهو إصلاح القلب، بالوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، فهو مبني على الكتاب والسنة وذلك بإتباع شرع الله تعالى والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأحوال، والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأفعال، وتسليم الأمور كلها لله من غير إهمال في واجب ولا مقاربة محظور، وحاصله اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف الذميمة، ولقد تناول موضوع التصوف العديد من الدراسات للأهمية في المجتمع العربي الإسلامي.

1- تعريف التصوف:

بداية لابد من تحديد معنى "التصّوف" في اللغة فقد ورد تعريفه في تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي قائلا: " تصّوف، يتصّوف، تصوفًا، فهو متصوف، وهو من الصوف، وقيل أيضا صوِف، يَصوَف، مصدر صَوَف، صَوِفَ: الحيوان، كَثُرَ صُوفَهُ، وكذلك صوَّف، يُصَوِّف، تصويفًا فهو مُصوِّف، والمفعول مُصوِّفٌ، ومنه صوَّفَ الخروف، ظهر عليه الصوف، وصوَّفَ الحيوان: كَثُرَ صُوفُهُ، وصوّفَ النبات أو الكَرْمُ: ظهر عليه ما يشبه الصّوف، وصَوَّف الرجل جعله من الصوفية[1].

وجاء أيضا في المحكم والمحيط:

1- لابن سيدة حيث عرف التصوف انطلاقا من الصوف، إذ قال هذا الأخير " أن الصوف للغنم كالشعر للمعز، والوبر للإبل ، والجمع أصواف، وقد يقال الصوف للواحدة على تسميته الطائفة باسم الجميع، حكاه سيبويه"[2].

---

[1]- تاج العروس من جواهر القاموس – الزبيدي- المجلد التاسع، 18/17، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط 1-2007م-1428، ص 24.

[2]- المحكم المحيط الأعظم-ابن سدة- تحقيق الهنداوي الجزء 8- دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط1- 2000م – ص 338.

2- وقال الجوهري في الصحاح : " الصُّوف للشاة، ويقال لواحدة الصوف، صوفة، ويصغر صُوَيْفة، وفي الأساس، فلان يلبس الصُّوف والقطن، أي ما يعمل منهما"، ومن المجاز قولهم :" أخذت بصوف رقبته وبصافها". وصاف الكبشُ بعدما زَمَرَ، يَصوفُ صوفًا بالفتح وصُووفًا، كقعُودٍ فهو صافٌ وصافٍ وأصوفُ، وصائفُ، وصَوِفَ، كفرحَ، فهو صَوِفٌ، وصاف السَّهْمَ عن الهدف، يَصُوف ويصيف وصاف عني وجهَهُ: مال"[1].

3- وقال ابن فارس مقاييس اللغة:" صاف من باب الابدال من صاف، وقال أبو الهيتم : يقال: كبش صوفان، ونعجة صوفانة، وقال غيره: الصوفان: كل من ولي شيئا من عمل البيت، وكذلك الصوفة، وفي الأساس، وآل صَوْفَانَ: كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون، ولعل الصوفية نُسِبَت إليهم"[2].

تشبها بهم في التنسك والتعبد، أو إلى أهل الصفة فيقال مكان الصُفية، الصوفية بقلب إحدى الفائين وتصوّف، تنسّك، أو ادّعاه، وحبَّهُ، صيفَة، ككيّسة، كثيرة الصوفِ، وأصله صَيْوَفةٌ، فقلبت الواو ياءا، فأدغمت[3].

وكثرت الأقوال أيضا في اشتقاق كلمة التصوف نذكر منها خمسة وهي:

أولهـــا: قول من قال : الصوفة لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له.

ثانيهـــا: أنه من صوفة القفا للينها، فالصوفي هين لين كهي.

---

[1]- الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفورعطارالجزء3، دار العلم للملايين –بيروت –لبنان -ط 4 – 1990، ص 210.

[2]- معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس – المحقق:عبد السلام محمد هارون الجزء3، دار الفكر، مصر، ط 2، 1989م ص 213.

[3]- تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي – المرجع نفسه.

ثالثهـــا: أنه من الصِفة اذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة.

رابعهـــا: أنه من الصفاء وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله.

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ** جهلا وظنوه مشتقا من الصـــــــــوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتـــى ** صافي فصوفي حتى سمي الصـــــــوفي

وأخيرا خامسها: أنه منقول من الصفة لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أنيث الله تعالى لهم من الوصف حيث قال: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[الكهف : 28]

وهذا هو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه والله اعلم.

- أما المعنى الاصطلاحي فيبرز في أن التصوف: هو تصفية القلب عن موافقة البرتة، ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية، ومجانية الدعاوي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، وإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة، وقيل ترك الاختيار.

وقيل: بذل المجهود، والإنس بالمعبود، وقيل أيضا: حفظ حواسك من مراعاة آنذاك، وقيل كذلك: الإعراض عن الاعتراض، وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرغ عن الدنيا، وقيل: الصبر تحت الأمر والنهي، وقيل :خدمة التصرف، وترك التكلف، واستعمال التطرف، وقيل: الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق، والاياس مما في أيدي الخلائق[1].

[1]- كتاب التعريفات علي الجرجاني، تحقيق نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير – القاهرة- ط1 – 2007- ص 103 – 104.

ويعرف الشيخ احمد زروق رحمه الله، التصوف قائلا: " التصوف علم قصد لإصلاح القلوب وأفرادها لله تعالى عما سواه، والفقه لإصلاح العمل، وحفظ النظام "[1]

- "وظهور الحكمة بالأحكام والأصول * علم التوحيد* لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحلية الإيمان بالإيقان، كالطب لحفظ الأبدان، وكالنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك."[2]

ويقول أيضا الإمام الحبنيد رحمه الله:

التصوف استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق ديني".[3]

ويقول أبو الحسن الشاذلي رحمه الله:

" التصوف تدريب النفس على العبودية وردها للأحكام التربوية."[4]

قال صاحب " كشف الظنون " حاجي خليفة:

"هو علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم*.[5]

وعلى العموم يمكن أن نرجح معنى التصوف إلى حقيقة واحدة هي صدق التوجه إلى الله، هذا ما ذكره أبا نعيم رحمه الله في قوله: " وقيل التصوف وكذا ... فأشعر أن من له نصيب من

---

[1]- حقائق عن التصوف، الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله * التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف – دار العرفان- حلب / سورية- ط 11 – 2000م- ص 8-9.

[2]- حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى رحمه الله، ص 8.

[3]- المرجع نفسه، ص 8.

[4]- المرجع نفسه، ص 9.

[5]- المرجع نفسه، ص 9.

صدق التوجه له نصيب من التصوف،وإن تصوف كل أحد صدق توجهه وهو ما ورد عند السلمي في طبقاته والقشيري في رسالته أثناء ترجمتها لرجال التصوف." [1]

نشأة التصوف:

تبدأ الإرهاصات الأولى للتصوف بعد ظهور الإسلام وتجلي ذلك بوضوح بعد عهد الصحابة والتابعين وذلك الأسباب، ويظهر ذلك في قول الدكتور أحمد علوش، إذ يقول: " قد يتساءل الكثيرون عن السبب في عدم انتشار الدعوة إلى التصوف في جذور الإسلام، وعدم ظهور الدعوة إلا بعد عصر الصحابة والتابعين، والجواب عن هذا، أنه لم تكن من حاجة إليها في العصر الأول، لأن أهل هذا العصر كانوا أهل تقوي وورع وأرباب مجاهدة، فلم يكن ما يدعوا إلى تلقينهم علم يرشدهم إلى أمرهم قائمون به فعلا".

وهذا الرأي أقرب بكثير إلى الواقع لأن الصحابة والتابعين كانوا على دينهم وقلوبهم عامرة منفتحة على الإسلام.

ويوضح الدكتور أحمد علوش أيضا سبب ظهور التصوف وهو دخول أمم شتى وأجناس عديدة في حظيرة الإسلام، واتساع دائر العلوم وانقسامها وتوزعها بين أرباب الاختصاص حيث قام كل فريق بتدوين العلم الذي يجيده أكثر من غيره، فنشأت عدة علوم، مما أدى إلى تضاءل التأثير الروحي شيئا فشيئا، أخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية ، مما أدى بأرباب الزهد إلى أن يعملوا هم من ناحيتهم إلى تدوين علم التصوف واثبات شرفه وجلاله وفضله على سائر العلوم، وذلك لاستكمال حاجيات الدين في جميع نواحي النشاط، مما أدى إلى حصول

[1]- المرجع نفسه، ص11.

التعاون على تمهيد أسباب البر والتقوى، وبنى أئمة الصوفية الأولون، أصول طريقتهم على ما شب في تاريخ الإسلام[1].

أما عن تاريخ التصوف فيظهر في فتوى للإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله، فقد سئل عن أول من أسس التصوف؟ وهل هو بوحي سماوي فأجاب: " وأما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هي مقام الإحسان الذي هو احد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم بعدما بينها واحدا واحدا دينا بقوله:** هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم"[2].

فالإسلام طاعة وعبادة، والإيمان نور وعقيدة، والإحسان مقام مراقبة ومشاهد، أي " أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فهو يراك."[3]

وقد تحدث ابن خلدون عن نشأة التصوف، فقال:" وهذا العلم –يعني التصوف- من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، أصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عن سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور لذة ومال وجاه،والإنفراد على الخلق، والخلوة للعبادة، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، واختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية.[4]

---

[1]- حقائق عن التصوف، الشيخ عبد القادر عيسى، ص 11.

[2]- المصدر نفسه ص 13.

[3]- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري – الجعفيي- تحقيق د. مصطفى ديب البغا 7 أجزاء – دار بن كثير – بيروت- ط 1414هـ د1ط، ص 28.

[4]- مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون، دار صادر – بيروت – لبنان- ط1 – 2000، ص356 و 357.

ومن هذه النصوص السابقة، يتبين لنا أن التصوف ليس أمرا مستحدثا جديدا، ولكنه مأخوذ من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه الكرام.

قواعد التصوف:

ينبني التصوف على خمس قواعد تتماشى وتعاليم الدين المسايرة للشريعة الإسلامية من حيث أحكامها الباطنة ونواميسها الخفية، وتلك القواعد هي: أولا : صفاء النفس ومحاسبتها وتتمثل في أن كل من أراد أن يدخل في سلك المقربين يعد الجواب لسؤال الحق تعالى وذلك أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله تعالى ويزن أعماله، أما القاعدة الثانية فهي: قصد وجه الله ومعناه أن التصوف لابد أن يقصد وجه ربه في جميع أقواله وأفعاله غاسلا قلبه بإخلاص لوجه الله تعالى أي يجب على المتصوف أن يكون ذات نية خالصة في أعماله وأقواله وأن يكون متخشعا في ذلك.

وبالنسبة للقاعدة الثالثة: فهي " التمسك بالفقر والافتقار" أي الزهد في الدنيا والقناعة في متاعها حرمانا للنفس فإن التمسك بالفقير دليل التقشف الذي هو الآلة القاطعة لحبل الوصال بين العبد والشيطان فتتأهل النفس بالعبادة الخالصة والمناجاة الصادقة وعدم العلو والفساد وهذا الرأي سلاح ذو حدين تمثل أولا في الشق الإيجابي وهو أن الفقر يؤدي بصاحبه إلى العبادة والاقتراب من الله تعالى أما الشق السلبي فيتمثل في أن الفقر يحرم صاحبه من أبسط متطلبات الحياة.

والقاعدة الرابعة هي: توطين القلب على الرحمة والمحبة أي أنه يجب على كل صوفي أن يلزم قلبه محبة المسلمين ورحمتهم ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير[1].

---

[1]- الأدب في التراث الصوفي، د. محمد عبد المنعم خفاجي – دار غريب للطباعة-لاظوغلي –القاهرة د.ط، د1سنة ص 15-16.

أي أن لابد من الإنسان الصوفي أن يكون رحيما ورئيفا بالمسلمين لان من يرحم يُرحم.

أما خامسا وأخيرا: فهي التجمل بمكارم الأخلاق التي بعث الله النبي لتمامها وهي زبدة الدين، وحقيقة أخلاق الصوفيين ومعناها أن يكون العبد هينا ليينا مع أهل بيته وعشيرته وجميع المسلمين[1].

خصائص التصوف:

يحتوي التصوف على عدة خصائص، وذلك من منطلق أنه تجربة روحانية لا يشعر بها إلا المتصوف القُح، حيث بينها الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح في كتابه " دراسات في الفكر العربي الإسلامي" وهي عدة نقاط:

أولا : أنها تجربة ذاتية وجدانية خالصة، وهي ثمرة معرفة مباشرة مما لا يمكن الاطلاع عليها، أي نقلها إلى الآخرين، في حين أمكن تعريف علوم الفقهاء وحدها، لأنها علوم ورسوم تنال بالتعلم والاكتساب، وعلم التصوف مما لا يمكن حده، لأنه إشارات وعطايا وهبات يعرفها أهلها من بحر العطايا التي لا ينتهي مدده، فالتصوف هو حالة نفسية وموقف وجداني.

ثانيا: التجربة الصوفية ظاهرة دينية تتسم بالعالمية فلا تتقيد بحدود الزمان والمكان والأجناس واللغات والأديان أو الدوائر الحضارية، فلا وطن لها ولا تاريخ ميلاد.

أما ثالثا: فالتجربة الصوفية لا تتسم بالنسقية المنطقية، كما هو الحال في المذاهب الفلسفية والكلامية والفقهية، أي أن العبارات مهما دقت لا تنقل المضمون الحقيقي لهذه التجربة الوجدانية.

[1]- المرجع نفسه ص 16.

رابعا: تمتاز التجربة بتجاوزها المصدري للمعرفة الإنسانية، الحواس والعقل واستدلالاته، أي أن الحقيقة الصوفية لا يمكن الإشارة إليها بعبارات وحتى إيماءات رمزية غامضة أي أنها خبرة مخصوصة لا يمكن فهمها إلا من يتذوقها بذاته[1].

خامسا: تتسم التجربة الصوفية بسمة مركزية هي عدم قدرة صاحب التجربة الصوفية نقل مضامين تجربته إلى الاغيار والآخرين، وذلك لأن التجربة الصوفية لا تستوعبها اللغة العادية، فيضطر للتعبير عنها بلغة مخصوصة تتسم بالسحرية والتمثيل والرمزية والمجاز.

سادسا: التجربة الصوفية ليست تجربة متشكلة، وهوية ثابتة قارة، بل هي تجربة نامية ومتطورة تبعا لسلم المعراج الروحي الذي يكابده الصوفي.

سابعا: إن التجربة الصوفية تتجسد في أنماط متنوعة وصيغ متباينة، وتتخذ صورا وتعبر عن نفسها في طرائق متعددة، ذلك أن المتصوف يحاول عادة وفي الغالب من الأحيان صياغة تجربته وفق الدائرة الحضارية والثقافية ومحددات الإطار العقدي العام للدين الذي ينتمي إليه ويؤمن بأصوله الإيمانية.

ثامنا: تمتاز التجربة الصوفية أيضا في أنها تتمثل في حالة نفسية معينة ومخصوصة، فيها إلحاء وقصر للتحول من حياة تقليدية وعرفوها بحالة التأزم الحادة، ومعناها أن الإنسان تصيبه حالة توبة تكون مصحوبة بعدم الراحة، وذهاب الثقة بالمعقولات والمحسوسات واضطراب مزعج بالنفس

[1]- دراسات في الفكر العربي الإسلامي * أبحاث في علم الكلام والتصوف والاستشراق والحركات الهدامة، عرفان عبد الحميد فتاح، دار الجيل – بيروت- الطبعة الأولى- 1991- ص 220

تفقد معه اليقين والطمأنينة وهذه الحالة تجيء في صورة انتقال تدريجي ومتراكم لا يكاد يدرك أو يكون محسوسا، ومهما كانت هذه الحالة فهي محفزة للتحول في النفس.

و لهذه الخصائص أهمية كبيرة إذ بها تعرف التجربة الصوفية عن غيرها والمتصوف الحقيقي عن غيره[1].

صفات التصوف ومراتبه:

لقد تميز التصوف بعدة مميزات وصفات نذكر منها: الإخلاص وطهارة القلب، وكذا الخشوع لله، إضافة إلى الخشية من الله وحسن الخلق، وأخيرا الزهد في الحياة، وذلك أن المتصوف لا يكون متصوفا قحا إلا إذا كان قلبه مملوءا وعامرا بالإيمان إضافة إلى الخشية والخوف من العقاب.

مراتبه:

إن للتصوف ثلاثة مراتب وذلك حسب اختلاف درجة العبودية والخشوع والزهد، إذ يتمثل أولها في درجة المريد الطالب، كما أنها أول خطوة في التصوف وصاحبها صاحب وقت مجد في العبادة لطلب مراده ، ومقامة المجاهدات وتجرع المرارات، لذا قيل أول التصوف علم، إذ أن المريد يبدل كل ما في وسعه ليدخل في التصوف وذلك بالعبادات المطولة له والصبر على مرارات هذه الفترة.

[1]- المرجع نفسه –ص 220.

أما الثانية فهي وسط التصوف وتسمى درجة المتوسط السالك ومنهلها صاحب حال وتلوين لانتقاله كل آونة من حال إلى حال ومن درجة إلى درجة، وهو مطالب بآداب المنازل والزيادة في العبادة، ومقامه هو ركوب الأهوال في طلب المراد ومراعاة الصدق في الأحوال واستعمال الأدب وفناء النفس في العبادات، وتلك أشق درجات التصوف، لان صاحبها يواصل في عباداته ومشقاته ليصل إلى مراده.

وثالثا وأخيرا فتتمثل في أنها أعلى درجات التصوف ومنهى أعمال الصوفية وتسمى درجة المنهى وصاحبها ذو نفس وهمة وفضل قد جاوز المقامات وصار في محل التمكين لا تؤثر فيه الأهوال، ومقامة محورة للإجابة للحق ،استوت في حقه الشدة والرخاء والمنع والعطاء.

و تعتبر هذه المراتب من اصح وأجود المراتب لما فيها من خشوع وخشية وزهد وصدق وعبودية.

أهمية التصوف:

للتصوف أهمية كبيرة ويمكن إجمالها في عدة نقاط تتمثل هذه الأخيرة فيما يلي:

أولا: صلاح الإنسان لأن صلاحه مرتبطا بصلاح قلبه الذي هو مصدر أعماله الظاهرة، إذ يجب على الإنسان إصلاحه بتخليه عن الصفات المذمومة التي نهانا الله تعالى عنها، وتحليه بالصفات الحسنة التي أمرنا بها الله سبحانه وتعالى، وعندما يكون القلب سليما صحيحا يكون صاحبه من

الفائزين الناجين لقوله تعالى:* يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ [88] إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [89] سورة الشعراء، وكذا تنقية القلب وتهذيب النفس، لأن أساس الإيمان هو القلب الصحيح[1].

ثانيـــا: تبرز أهمية التصوف في اختصاصه بمعالجة الأمراض القلبية وتزكية النفس والتخلص من صفاتها الناقصة، وحيث أن الإنسان عندما يتعلق قلبه بالتصوف وبعبادة ربه يخلو قلبه من الأمراض التي تضيق حياته مثل الخيانة والكذب والكره والحقد...

ثالثـــا: تتمثل في اهتمامه بالعبادات البدنية والمالية ورسم الطريق العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى درجات الكمال الإيماني الخلقي، إذ أن التصوف ينسب للإنسان مستقبله وآفاقه.

أما رابعا وأخيرا: فالتصوف منهج عملي كامل، يحقق انقلاب الإنسان من شخصية منحرفة إلى شخصية مسلمة متكاملة من الناحية الإيمانية السليمة والعبادة الخالصة والمعاملة الصحيحة الحسنة والأخلاق الفاضلة، بالإضافة إلى أن التصوف هو روح الإسلام وقلبه النابض[2].

أعلام التصوف:

1- **رابعة العدوية:** 100هـ- 180هـ/ 717م- 787م

هي رابعة بنت إسماعيل العدوي، ولدت بمدينة البصرة ويرجح مولدها حوالي عام 100هـ / 717م من أب عابد فقير، وسميت رابعة لأنها كانت الرابعة في الميلاد يسبقها ثلاثة من أخواتها، وبالعدوية لأن أسرتها من بني عدوة، وقد نشأت رابعة في الأسرة تشكوا قسوة الفقر

[1]- حقائق عن التصوف لسيدي الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله * التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف- دار العرفان- حلب- سورية- ط 11- 2000- ص 14-15.

[2]- المرجع نفسه، ص 16.

وشدة الحياة، تعيش بكوخ بطرف من أطراف البصرة، وكان الناس يسمون هذا الكوخ * كوخ العابد* وذلك لتقوى الوالد وإيمانه.

في هذه البيئة الإسلامية الصالحة ولدت رابعة العدوية وحفظت القرآن الكريم وتدبرت آياته وقرأت الحديث وتدارسته وحافظت على الصلاة وهي في عمر الزهور، عاشت طول حياتها عذراء بتولا برغم تقدم أفاضل الرجال لخطبتها لأنها انصرفت إلى الإيمان والتعبد ورأت فيه بديلا عن الحياة مع الزوج والولد، وليس كما يحاول بعض المستشرقين تشويه سيرتها ووصفها بالانحراف والرذيلة، وكانت رابعة امرأة صالحة متصوفة، وهي أول من استعمل كلمة الحب الإلهي استعمالا صريحا تناجي به الله عز وجل ومن أقوالها:

عَرَفْتُ الهَوَى مُنْذُ عَرَفْتُ هَــوَاكَ * وَأَغْلَقْتُ قَلْبِي عَمَنْ سِوَاكَ**

وَكُنْتُ أُنَاجِيكَ يَا مَنْ تَــــــــــــرَى * خَفَايَا القُلُوبِ وَلَسْنَا نَرَاكَ**

أُحِبُكَ حُبَيْنِ حُبِّ الهَــــــــــــوَى * وَحُبًا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَلِــكَ[1]**

2- أبو يزيد البسطامي 188 هـ - 261 هـ:

هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن سترومان، ومن أهل بسطام، صوفي وفارسي الأصل، كان جده سروسان مجوسيا أسلم وحسن إسلامه، يقول عنه القشيري: * كانوا ثلاثة إخوة: آدم وطيفور وعلي، وكلهم كانوا عبادا وزهادا، وأبو يزيد كان أجلهم*، ووصفه أبو نعيم

[1]- العابدة الخاشعة رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين، الدكتور عبد المنعم الحفني – دار الرشاد – القاهرة – مصر- ط 1 -1411ه- 1991م- ص 21.

في الحلبة قائلا: " هو التائه الوحيد الهائم الفريد، تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدودات إلى موجد المحسوسات والمعدومات فارق الخلق ووافق الحق"[1].

[1]- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د. عرفان عبد الحميد فتاح- دار الجيل- بيروت- ط/1- 1413هـ 1993م- ص189و190.

3- الحسين بن منصور الحلاج: 244هـ- 309هـ/ 858م- 922م:

أبو مغيث الحسين بن منصور بن محمى الحلاج، صوفي فارسي وحفيد رجل زردشتي من عبدة النار، ولد في 244هـ، في الطور في الشمال الشرقي من البيضاء، في مقاطعة فارس جنوبي غرب إيران، ثم انتقل مع والده إلى العمل في واسط، فنسي لغته الفارسية تماما، وتعلم القرآن الكريم وصار من الحفاظ، ثم سلك طريق التأله والنسك والعبادة فتعلم على يد " سهل بن عبد الله التستري" مبادئ العلم والسلوك، وبعد ذلك ارتحل إلى البصرة حيث تعرف على "عمرو بن عثمان المكي" وتلقى حرفة الصوفية من يديه، ثم ساءت بينهما العلاقة ، وسافر لأجلها حاجا إلى مكة وكان يقول:" ما تذهبت بمذهب أحد من الأئمة، وإنما أخذت من كل مذهب أصعبه وأشده، وأنا الآن على ذلك*.[1]

4- عبد القادر الجيلاني 470هـ- 561هـ:

ولد الإمام عبد القادر الجيلاني في جيلان، ولما بلغ الثامنة من عمره رحل إلى بغداد لطلب العلم، وبدا بفقه الحنابلة ثم سلك طريق التصوف، واشتهر به وكون طريقته التي عرفت بالطريقة القادرية والتي بناها على الكتاب والسنة وجمع فيها بين الأصول والفروع أي بين علوم الأصول والفقه والتصوف، كما فعل الأمام الغزالي.

ولقد بدا الشيخ الجيلاني تصوفه بالوعظ والإرشاد والإصلاح نفوس المسلمين ومحاربة الفساد الذي كان منتشرا في عصره، وتوفي الشيخ الجيلاني في 561هـ[2].

---

[1]- نشاة الفلسفة الصوفية وتطورها د. عرفان عبد الحميد فتاح ،209-210.

[2]- فلسفة التصوف من خلال النشأة والتطور – الفاعوري، تحقيق السلوادي، دار زهران- الأردن د1ط-2010 م- ص 220.

5- محي الدين بن العربي 560هـ- 638هـ/ 1165م- 1240م:

هو أبو عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله العربي الحاتمي الطائي المعروف بالشيخ الأكبر أحمد مشاهير الصوفية في الإسلام، يطلق عليه في الأندلس " ابن العربي" وفي المشرق "ابن عربي"، تميزا بينه وبين قاضي اشبيلية أبي بكر بن العربي، ولقد ولد محي الدين ب " مرسية" ،من عائلة اشتهرت بالعلم والتقوى وتنتهي في نسبها إلى حاتم الطائي، فقد كان أبو علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف، فقد كانت نشأة الشيخ نشأة نقية وبعد ذلك انتقل إلى اشبيلية بعد أن خضعت مرسية لحكم الموحدين، حيث بدا ابن عربي دراسته التقليدية فقرا عدة كتب أساسية، في فروع المعرف الإسلامية مثل صحيح البخاري وغيره، وفي سن مبكرة وفي أثناء مرض ألم به رأى رؤيا، كانت بمثابة نقطة تحول كبيرة في حياته، حيث انقلب بعدها زاهدا سائحا وانقطع للعبادة والخلوة، قضى بعد ذلك حياته متصوفا زاهدا حتى وفاته سنة 638هـ[1].

6- أبو الحسن الشاذلي 571هـ - 655 هـ:

هو علي ابن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي نسبة إلى شاذلة، قرية بإفريقيا على حد تعبير المناوي، وذكر ابن العماد أنها قرب من تونس ، وفي رواية ابن الصباغ أنه ولد بجمارة ثم انتقل إلى شاذلة ، ثم دخل تونس، وفي هذه المرحلة من عمره درس العلوم الشرعية حتى أتقنها وخاصة علوم الحديث والتفسير والفقه.

[1]- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د.عرفان عبد الحميد فتاح- ص 249 و 250.

ثم ارتحل إلى العراق وهو صبي كما في رواية الصباغ، ولقي شيوخ التصوف الذين أشاروا عليه بالرجوع في المغرب وهو شيخه عبد السلام بن مشيش وهي رواية أشبه ما تكون بالقصص الشعبي أو الأساطير التي تنسج حول الأبطال في كل زمان وكل مكان.

ذكر المنساوي والشعراني وغيرهما أن خروج الشاذلي كان بعد اشتهار أمره وبعدما نسب إليه أهل تونس الزندقة والإلحاد وعبارة المنساوي: *ومع ذلك أذوه وأخرجوه – يريد أهل تونس- بجماعته من الغرب وكتبوا إلى نائب الإسكندرية انه يقدم عليكم مغربي زنديق وقد أخرجناه من بلادنا فاحذروه، فدخل الإسكندرية فأذوه، فظاهرت له كرامات أوجبت اعتقاده.*وقد جعل الشاذلي الشريعة وعلومها الأساس الأول الذي بني عليه تصوفه، والدين عند الشاذلي مؤلف من عنصرين حقيقة وشريعة أو ظاهر وباطن[1].

و بعد، فإن التجربة الصوفية في الإسلام كان لها من اتساع الرقعة والزمان ما يصعب معه وضع تاريخ كامل ونهائي، إذ أصبح التصوف يعني كل منطقة جغرافية مادام مجاله الوحيد هو تصفية القلوب وتنقيتها والتخلص من الحق والحسد.

[1]- فلسفة التصوف من خلال النشأة والتطور ، د. داود علي الفاضل الفاعوري، راجعه وقدم له د. عبد الرحيم محمد السلوادي، ص 229-230.

المبحث الأول: سيرتـــه الذاتيـــة والأدبيـــة.

أ- حياتـــــه:

"ولد صلاح عبد الصبور في 03 ماي 1931م في مدينة الزقازيق بالمحافظة الشرقية، وتلقى تعليمه في المدارس الحكومية، ودرس اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول "القاهرة حاليا"، وفيها تتلمذ على يد الشيخ أمين الخولي الذي ضم عبد الصبور إلى جماعة "الأمناء"التي كونها، ثم إلى الجمعية الأدبية التي ورثت مهام الجماعة الأولى، وكان للجماعتين تأثيرا كبيرا على حركة الإبداع الأدبي والنقدي في مصر، وبعد تخرجه عُين صلاح عبد الصبور مدرسا بوزارة التربية والتعليم، إلا أنه استقال منها ليعمل بالصحافة، حيث عمل محررا في مجلة □روز اليوسف □ثم جريدة الأهرام وفي عام 1961م عين صلاح عبد الصبور بمجلس إدارة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، وشغل عدة مناصب بالدار، ثم عمل مستشارا ثقافيا للسفارة المصرية بالهند، ثم اختير رئيسا لهيئة الكتاب.

أخذ صلاح عبد الصبور يكتب الشعر في سن مبكرة، وكان ذلك في مرحلة دراسته الثانوية، وأخذ ينشر قصائده في مجلة الثقافية القاهرية والآداب البيروتية، وكان صلاح عبد الصبور مهتما بالفلسفة والتاريخ، كما كان مولعا بصورة خاصة بالأساطير، وفي الوقت ذاته كان يحب القراءة في علوم الإنسان المحدثة كعلم النفس والاجتماع والانثربولوجيا."[1]

"وتنوعت المصادر التي تأثر بها إبداع صلاح عبد الصبور، من شعر الصعاليك إلى شعر الحكمة العربي، مرورا بسير وأفكار بعض أعلام الصوفيين العرب مثل الحلاج وبشر الحافي اللذين

[1]- موقع مكتبة الإسكندرية – مقال بعنوان: صلاح عبد الصبور، جمعتها دينا سماح ،حلا حسن ،مي فريج ،بتاريخ 2007/06/27.

استخدمهما كأقنعة لأفكاره، وتصوراته في بعض القصائد والمسرحيات، كما استفاد الشاعر من منجزات الشعر الرمزي الفرنسي والألماني **عند بودلير وريلكه**، والشعر الفلسفي الإنجليزي **عند جون دون ويتيس وكيتس وت.س. باليوت بصفحة خاصة**، ولم يضيع عبد الصبور فرصة إقامته بالهند مستشارا ثقافيا لسفارة بلاده بل أفاد خلالها من كنوز الفلسفات الهندية ومن ثقافات الهند المتعددة."[1]

ب- مؤلفاته وجوائزه:

1- **مؤلفاته:** كان ديوان الناس في بلادي 1957 هو أول مجموعات عبد الصبور الشعرية، كما كان أول ديوان للشعر الحديث * أو الشعر الحر، أو الشعر التفعيلية* يهز الحياة الأدبية المصرية في ذلك الوقت، واستلفتت أنظار القراء والنقاد فيه قراءة الصورة واستخدام المفردات وامتزاج الحس السياسي والفلسفي بموقف اجتماعي انتقادي واضح.

وعلى امتداد حياته التي لم تطل أصدر عبد الصبور عدة دواوين من أهمها *أقول لكم* 1916 - *أحلام الفارس القديم* 1964- * تأملات في زمن جريح* 1970- *شعر الليل* 1973- *الإبحار في الذاكرة* 1977[2].

كما كتب الشاعر عددا من المسرحيات الشعرية هي: *ليلى والمجنون*1971 وعرضت على مسرح الطليعة بالقاهرة في العام ذاته، *مأساة الحلاج* 1964- *مسافر ليل*1968- *الأميرة تنتظر*1969- *بعد أن يموت الملك*1975.

[1]- المرجع نفسه.
[2]- المرجع نفسه.

بالإضافة إلى أنه ألف قصة واحدة تحت عنوان *النساء حين يتحطمن*.[1]

2- أوسمة وجوائز.

وقد حصل صلاح عبد الصبور على العديد من الأوسمة منها جائزة الدولية التشجيعية عام 1965، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام 1965، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1981، ووسام الإستحقاق من الدرجة الأولى، والدكتورة الفخرية في الأدب بجامعة المنيا عام 1982، كما أطلقت الإسكندرية اسمه على مهرجانها للشعر الدولي.

- في الخامس عشر من أغسطس 1981رحل صلاح عبد الصبور الذي كان يؤمن بأن الفكر هو من يستطيع أن يمزج في رؤياه الماضي بالمستحيل ومن يعرف أن الحاضر هو لحظة تاريخية حاسمة يستطيع الإنسان أن يجعل منها طريقا إلى مجده، أو إلى حده، وهو أيضا الإنسان الذي تعنيه*الفكرة* كقيمة في ذاتها جديرة بأن يبذل حياته من اجلها.*[2]

ج- صلاح عبد الصبور بين التراث والمعاصرة:

نشأ صلاح عبد الصبور في الثلاثينيات من القرن 20، حيث أصداء الدعوات إلى التغريب تتجاوب بها جوانب الحياة في مصر، و لم تكن قد هدأت بعد الضجة التي أثارها كتاب الدكتور طه حسين *في الشعر الجاهلي* حين صدرفي عام 1926 وأغرى الباحثين من المحافظين على التراث عليه، وكان من بينهم مصطفى صادق الرافعي في كتابه *المعركة بين القديم والجديد* الذي يصور

[1]- موقع مكتبة الإسكندرية، مقال بعنوان "صلاح عبد الصبور"، جمعتها دينا سماح حلا حسن، مي فريج بتاريخ 2007/06/27.

[2]- المرجع نفسه.

لنا بوضوح هذا الصراع بين دعاة التغريب، وبين المحافظين على التراث، وقد أطلق الرافعي على دعاة التغريب كلمة * المتبددين* بدلا من *المجددين*. 1

جاء صلاح عبد الصبور من المدينة الصغيرة *الزقازيق* بعد أن قضى مرحلة الدراسة الثانوية فيها منكبا على قراءات يمتزج فيها العربي بالغربي، والتقليد بالتجديد، فقد عاش في جو رومانسي المشاعر مع كتب المنفلوطي وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، واستهوته أشعار محمود حسن إسماعيل، ثم عرف الفيلسوف الألماني نيتشة من خلال كتاب مترجم له.

وحين عبر الجسر إلى الجامعة وإلى العاصمة الكبيرة حيث زلزلت نفسه زلزالا كبيرا قراءاته وسماعاته من الأصدقاء، وبدأت الأسماء الغربية تقرع سمعه بعنف: اليوت أندري بريتون، بودلير، فاليري، رلكه2، شلي، وبدأت أسماء المدارس الأدبية والفنية والاجتماعية تزلزل كيانه: السريالية، الرومانتيكية، الكلاسيكية، البرناسية، الرمزية، الواقعية، الاشتراكية، وكانت وجهته في الدراسة قسم اللغة العربية بكلية الآداب حيث امتزجت في نفسه هذه القراءات والسماعات ودراسة التراث والتعمق فيه، مع ما كان يشيع في جو الحياة الفكرية من أصداء المعارك بين القديم والجديد.

وكان موقف عبد الصبور ينقسم ما بين حبه للشخصية المصرية، وبالرواد الأوائل الذين مدوا جسور الثقافة بيننا وبين العرب منذ عصر محمد علي، فتراه يشيد بالشيخ حسن العطار ، وحسن عجوة، وبرفاعة الطهطاوي، وعبد الله النديم وغيرهم، وبين تتبعه لأصول الثقافة الغربية

[1]- دراسات في الأدب العربي الحديث: محمد مصطفى هرارة، دار العلوم العربية- بيروت- لبنان- ط1 – 1410هـ- 1990م، ص 149.

[2]- المرجع نفسه، ص 149.

عند بعض المفكرين الذين أثروا في حياتنا الثقافية فيقول:* سافر الطهطاوي إلى باريس وعاد في ذهنه آثار مونتسكيو وجان جاك روسو وفولتير وقرأ عرابي كتابا عن نابليون...*1.

وهذا الإعجاب بالرواد الأوائل الذين فتحوا لنا منافذ الثقافة الأوربية يؤكد أساسا مهما عند صلاح في وجوب التمازج بين الثقافتين: العربية الأصيلة والأوربية المستحدثة فهو يقول:* الثقافة العربية السلفية لا تكفي وحدها لصنع الإنسان الجديد، بل لابد من البحث عن منابع جديدة يفتش عنها في فكر هذه الأمم المتقدمة*2.

وهذا التوازن الدقيق بين العنصرين: التراث والمعاصرة يجعله صلاح عبد الصبور أساسا لرفض محاولات أنصار الجانبين لتغليب احدهما على الآخر فلا يمكن أن يستعبدنا التراث ويركب أكتافنا بدلا من أن نكون قوة دافعة في ثقافتنا المعاصرة3.

د- صلاح عبد الصبور وموقفه الفكري:

في هذا العنصر نود أن نقف عند عالم عبد الصبور الفكري والإبداعي محاولين إبراز ما يميزه ويفرده وكل ما نسعى إليه، أن نستطيع تحديد الخطوط الإنسانية التي تكشف عن ملامحها أمام القارئ بحيث يمكنه أن يتعرف عليها من بين مئات الشخصيات بما تحمل من طابع الخصوصية وما تدل عليه من معدن الشخصية.

نشأ عبد الصبور نشأة دينية خالصة وجاهد في مرحلة صباه هذه ،ألا يشغله شاغل عن ذكر الله وعن الصلاة، وأن يخلي نفسه من كل فكرة عدا فكرة الله، ويقول:

---

[1]- المرجع نفسه ص 150.

[2]- المرجع نفسه ص 150.

[3]- دراسات في الأدب العربي الحديث – محمد مصطفى هرارة، ص50.

ما زلت أصلي حتى كدت أن أهالك إعياء، ودفع بي الإعياء والتركيز إلى حالة من الوجد حتى أنني زعمت لنفسي ساعتها أنني رأيت الله[1]، وهي فترة استمرت إلى دخوله الجامعة، ثم لم تلبث أن تحولت نتيجة لقراءات متعددة في الداروينية، وأفكار الفيلسوف *نيتشه*.

ثم الفلسفات المادية وغيرها، ويكون الفتى على جمع القرائن من كل هذه الأفكار وساعدته كل هذه الأفكار على بزوغ جرثومة *الإنكار* وإذا بهذا الإنكار يستبد به كأوضح ما يكون الإنكار، وقد وجد في موقفه الإنكاري موقفا فكريا متماسكا على حد تعبيره[2].

بالإضافة إلى ذلك انتشار فكرة نواتها من الأدب الماركسي وجدت في مجتمعنا العربي في فترة الخمسينات والستينات هي فكرة *الالتزام* و*الأدب الهادف*، ولاقت الكلمتان استحسانا وتأثيرا في نفوس الكتاب، والاتجاه الماركسي الحاصل في الواقع السياسي آنذاك جعل الأدباء يتعلقون به، فحاولوا بكتابتهم أن يدافعوا عن هذا الاتجاه – تحت إطار الالتزام – بل وصلوا إلى درجة التعصب، إذ أنهم يروا أن هذا الاتجاه له إيجابيات يمكن تحقيقها على أرض الواقع بسهولة.

فكانت أول قصيدة في أول ديوان بنشره صلاح عبد الصبور *الناس في بلادي* هي المخبرة عن ذلك الإحساس عنده والتي مطلعها * الناس في بلادي ** جارحون كالصقور *، والتي يصور فيها حالة الناس إذ تظهر في القصيدة فكرة الالتزام ظهورا واضحا[3].

---

[1]- أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية * الشعر، المسرح، القصة، النقد الأدبي. د. محمد زكي العشماوي- دار المعرفة الجامعية الإسكندرية- مصر 2000، ص .162

[2]- أعلام الأدب لعربي الحديث واتجاهاتهم الفنية * الشعر، المسرح، القصة، النقد الأدبي، د.محمد زكي العشماوي، ص 162.

[3]- المرجع نفسه، ص 162.

تحول عبد الصبور من الاتجاه الاجتماعي الملتزم إلى رؤى ذاتية تتراوح مابين اتجاهات صوفية معتدلة، وتأملات حزينة عن الموت، وأحيانا من اليأس، وتوجيهات أخرى إنسانية بما في ذلك من فقر وحزن وحب هذا الأخير الذي انتهى إليه لم يعد يخيفه من الموت الذي كان يؤرقه[1].

هـــ- صلاح عبد الصبور رائد الشعر الحر: وردود فعل حول شعره:

1- صلاح عبد الصبور والشعر الحر:

*يعتبر النقاد أن صلاح عبد الصبور من أهم رواد الشعر الحر العربي، واحدا من الشعراء العرب القلائل الذين أضافوا مساهمة بارزة في التأليف المسرحي وفي التنظير للشعر الحر، ففي منتصف الستينيات خاض عبد الصبور أول تجربة في الدراما الشعرية فكتب مسرحيته: مأساة الحلاج عام 1965، ويرى النقاد أنه تأثر في هذه المسرحية بالشاعر الإنجليزي إليوت، حيث جاءت مسرحيته شبيهة بمسرحية إليوت *جريمة قتل في الكاتدرانية* كما تأثر بكتابات كافكا السوداوية*، إذ أن صلاح عبد الصبور كان متأثرا بإبداعات الغربيين، حيث كانت تصوراته غربية وقام بتطويرها.

وحسب رأي كريم الوائلي تخرج صلاح عبد الصبور فنيا ونقديا تحت عباءة المدرسة الرومانسية الغربية وظل مخلصا لكثير من مبادئها طيلة حياته في إبداعه الفني، النقدي على السواء، وطور جاذبا من تصوراتها نحو نزعة صوفية تدفعنا إلى وصفها بالرومانسية الصوفية[2].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 163.

[2]- جريدة المؤتمر صلاح عبد الصبور رائد الشعر الحر، والدراما المصرية، شيرين صبحي العدد 2941، 26 آذار 2014

وهذا يبرز أن بدايات الشاعر كانت صوفية* ويوضح عبد الصبور ذلك أثناء تحدثه عن المتصوفة واستخدامه مصطلحاتهم ورموزهم ومحاكاة عباراتهم في * كتابة حياتي في الشعر*، إذ يطبقهم بصورة تكاد مماثلة من الوجد الصوفي والإبداع الشعري.

كما أنه يؤثر برموز الرومانسية العربية، وبخصائص الرومانسية الفنية، ويؤكد الوائلي أن عبد الصبور تجاوز هذه الرؤية وتجاوز إبداع القصيدة الغنائية، يرى سلاف احمد علوش أن في قصائد عبد الصبور بعدا قصصيا واضحا إذ اعتمد في استلهام التاريخ على الحكاية لا على الرمز التاريخي، أما العالم الشعري لعبد الصبور فيرى صدوق نور الدين انه تغلفه مسحة الحزن والألم، وفق ما يدل عليه المعجم الشعري الموظف في القول الشعري، وبصفة تكاد تكون شاملة، حيث تطالعنا مفردات من قبيل: الليل، المرض ، الفراغ، الموت، الشتاء، ودلالة هذه الألفاظ انهزامية بالأساس1.

2- ردود فعل ثائرة على شعره:

ثارت ثائرة الشعراء المحافظين على أشعار عبد الصبور التي أعدوها شكل من أشكال النثر لأنها تخلو من المالوف للقصيدة العربية القديمة، وحين كتب صلاح عبد الصبور قصيدته بين يدي العقاد وحدثت المواجهة بين شاعر يكتب قصيدة الشعر الحر وشارع من الديوان وعندما قرأ العقاد القصيدة كتب تحدثها * تحال إلى لجنة النثر لعدم الاختصاص* مما دفع بصلاح عبد الصبور إلى أن يكتب مقالا يدافع فيه عن هذا الشعر بعنوان * موزون والله عظيم موزون*، كما ثار الكثير من

[1]-المرجع نفسه.

النقاش حول * وشربت شايا في الطريق* والتي أثارت الاستهجان والاستهزاء في حينه، ولكنها لقيت أيضا من الاهتمام ما مهد الطريق لاستعمال المفردات اليومية في الشعر العربي[1].

و- المسرح الشعري لصلاح عبد الصبور:

لقد كان لصلاح عبد الصبور رأي من المسرح مخالف عن باقي الأدباء، إذ يرى انه لا يمكن أن يكون إلا شعريا، * ويعتقد المسرح ابسن الاجتماعي النثري مثل *بنت الدمية، وعدو المجتمع، * وغيرها هو مجرد انحرافه في تاريخ المسرح. كانت مسرحية صلاح عبد الصبور* مأساة الحلاج* هي بداية اتجاهه إلى المسرح الشعري، الذي أصبح من أهم رواده في الأدب العربي*[2] وعن سمات مسرح عبد الصبور يقول الدكتور مدحت الجبار:* على الرغم من تعدد مسرحيات صلاح عبد الصبور الخمس، من حيث الموضوعات المعالجة، والشخصيات، بل الأجواء الدرامية التي يستخدمها داخل نصوصه أقول أنه على الرغم من ذلك، فإن مسرح عبد الصبور يبدو ضيقا، ترتد عناصره المكانية إلى حيز ضيقا... أعني أن مسرحياته تتحرك على المستوى المكاني حول ثنائية البيت والسجن، ثم الاتساع في المكان، والبيت قد يتحول إلى قصر أو كوخ بسيط، أو منزل شعبي أو مقر جريدة، لكنه يظل محتفظا بدلالة الألفة والنشأة، وعلى النقيض يتحول السجن ولوازمه إلى الضيق من المكان، ويترادف في غالبية السياقات مع الظلم والقهر*[3] وبهذا نقول أن مسرح عبد الصبور له جمالية وإمكانية فنية هذا ما أدى إلى ضيق في مجاله.

*إن مسرح عبد الصبور يتحرك خلال عناصر مكانية محدودة، وثيمات مكانية ثابتة وان كانت تتعدد، فهي تتعدد في تجليات مختلفة، لا يتغير جوهرها بل يظل الجوهر ثابتا ويتحرك العرض

---

[1]- جريدة المؤتمر، صلاح عبد الصبور رائد الشعر الحر، شيرين صبحي.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- المرجع نفسه

الشكلي، الأمر الذي طرح سؤالا حول المكان في مسرح عبد الصبور، هل هو فقير في عناصره ومكوناته؟ وهل يترتب على ذلك القول بضيق ومحدودية عناصر الرؤية الجمالية للواقع عند عبد الصبور؟ خاصة وأن مسرحياته ترتد دائما للوراء، حيث نجد الكوخ، والقصر، والطير النائم، والسجن، والبيت، ومخدع النوم، ومحل العمل، وكلها مفردات كثيرا ما شكلت مسرحيات كثيرة قبله، وليس ببعيد، مسرح أحمد شوقي الشعري، أو مسرح على أحمد باكثير، من هذين السؤالين نستطيع أن نقول: أن توظيف صلاح عبد الصبور لهذه المفردات المكانية المحدودة قد أعني هذه المفردات، حيث أننا نحس للوهلة الأولى بتعددها، وكثرتها، بسبب جودة التوظيف، والقدرة على وضعها موضعا صحيحا يبعد عنها الملل والتكرار والفقر[1].

[1]- المرجع نفسه.

المبحث الثاني: الشعـــر الصـــوفي عنـــد صـــلاح عبـــد الصبـــور.

1- نظرته الصوفيـــة:

من مظاهر الشعر العربي الحديث نزوحه نحو التصوف * قد يكون ذلك ملاذا يلوذ به الشاعر من أزمات اجتماعية وسياسية يعانيها، وقد يكون بحثا عن عالم أكثر صفاء ونقاء، عالم روحاني فيه تجليات وحدس تتلاشى فيه المادية والغرائز السلبية، وإذا كان التصوف في مرحلة ما خرج عن السائد، وفيه من الرفض والتضحية وإنكار الذات، وفيه من مقومات الحب والوجد، فإن الشعر الحديث كان منطلقا في بداياته نحو التعبير عن بعض ما تعبر عنه الصوفية، وكانت الدعوة إليه أولا من خلال النظرة إلى الفكرة والإيحاءات، ينحو غالبا إلى الجوهر ويتخلى عن العرض، كما بدأ أنه يصبو إلى الحق والحقيقة والجمال والكمال*[1]، أي أن الشعر الحديث اتخذ من صوفية غاية للتعبير حيث كانت أفكاره تحوم على أفكار صوفية.

*من هنا كانت الصوفية والحداثة الشعرية تبحثان عن غايات مشتركة منها هذه الدعوة إلى الصفاء والنقاء والشفافية في القول الغير المباشر...الخ، ومن ابرز شعراء الصوفية شاعرنا الكبير صلاح عبد الصبور، إذ كانت له ثقافة صوفية برزت في بواكير أشعاره بدءا من ديوانه *الناس في بلادي*، ثم تطورت، وكانت ذروة ذلك أن أصدر مسرحية *مأساة الحلاج*، وخلع على هذه الشخصية الصوفية –الحلاج- التزاما فجعل من الصوفية التي يعترف بأنها ضمن دوائر السكونية، أي التي لا تشارك في قضايا المجتمع، صوفية متحركة تتمرد على التقشف والكبت والجوع والقهر، والظلم*[2].

---

[1]- الشعر والتصوف، منصور إبراهيم، دار الأمين، القاهرة،د.ط، 1999، ص 146.

[2]- المرجع نفسه ص 146.

وبعبارة أخرى تقاوم الشر وهذه الصوفية التي أكثر عبد الصبور من تناولها، ربما كانت نتيجة حتمية لتساؤلاته الكثيرة وتأملاته في زمنه *الجريح*، أي أن صلاح عبد الصبور غير من مضمون الصوفية وجعلها تهتم أكثر بالواقع. ابتدأ الشاعر عالمه الشعري وقد صاحبته الإشارات الصوفية، فلا تكاد تجد قصيدة إلا وفيها إشعاعات صوفية يتعلق تعليلها بالمتلقي وقراءته.

2- ملامح من شعره الصوفي:

أ- ديوان الناس في بلادي:

نعاين هذه الملامح الأولى للصوفية في ديوانه الأول * الناس في بلادي* ومنها:

بِالأَمْسِ فِي نَوْمِي رَأَيْتُ الشَيْخَ
مَحْيُ الدِينَ
مَجْذُوبَ حَارَتِي العَجُوزْ
وَكَانَ فِي حَيَاتِهِ يُعَاينُ الإِلَهَ
تَصَوُرِي وَيَجْتَلِي سَنَاهَ
وَقَالَ لِي:*... وَنَسْهَرُ المَسَاءَ
مُسَافِرِينَ فِي حَدِيقَةِ الصَفَاءِ...
وَيَعْقُدُ الوَجْدُ اللِسَانَ...مَنْ يَبُحَ يَضِل[1]

...

[1]- ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور ص79.

وَقَالَ لِي

وَصَوْتُهُ العَمِيقُ كَالنَعْمِ

يَا صَبَاحُ أَنْتَ تَابِعِي

فَخَتَمَ مَعِي

رَدْ مَشْرِعِي

وَلِمَاذَا هَذَا اللُجُوءُ إِلَى الشَيْخِ؟

ذَلِكَ لِأَنَّ قَلْبَهُ كَسِيرُ وَجِسْمَهُ مُعْلِلُ، فَلَابُدَ لَهُ مِنْ أَنْ

يَعُودَ إِلَى الصَفَاءِ إِلَى الحُبِّ

بَلْ كُلُنَا صِغَارَ...

الحَبِيبَ وَحْدَهُ هُوَ الكَبِيرَ[1]

ب- ديوان أقول لكم

وفي ديوان * أقول لكم* ينكر في قصيدته القديس أباطيل فلسفة أفلاطون وماركس وأرسطو، وأصحاب نظرية الحلول والسوفسطائيين وفيثاغورس، ويرى أن الحب الإلهي هو مصدر الكون وهو يقول:

[1]- ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور ص80.

ذَاتَ صَبَاحٍ

رَأَيْتُ حَقِيقَةَ الدُنْيَا

سَمِعْتُ النَجْمَ وَالأَهْوَاءُ وَالأَزْهَارُ مُوسِيقى

"رَأَيْتُ اللَهَ فِي قَلْبِي"

سَاعَتُهَا

شَعَرْتُ بِجِسْمِي المَحْمُومَ يَنْبُضُ مِثْلَ قَلْبِ الشَمْسِ

شَعَرْتُ بِأَنَنِي اِمْتَلَأْتُ متعاب القَلْبِ بِالحِكْمَة

كذلك كان الشاعر يصف الصوفي في قصيدته *الكلمات*، ذلك الذي يطوف في الأرض أو يسكن خلوته:

حَدِيثِي مَحْضَ أَلْفَاظ وَلاَ أَمْلِكُ إِلَاهًا[1]

ج- ديوان أحلام الفارس القديم:

وفي ديوان أحلام الفارس القديم يكتب لنا الشاعر عن مذكرات الصوفي بشر الحافي*841-867م*، وفي هذه المذكرات نعرف أن سبب سقوط الإنسان هو فقدان الإيمان، وهو الذي خلق جيلا من الشياطين مكان بني آدم فيقول:

[1]- ديوان أقول لكم صلاح عبد الصبور، جزء1،2، دار العودة –بيروت- د/ط 1977، ص177.

حِينَ فَقَدْنَا الرِضَا

بِمَا يُرِيدُ القَضَا

لَمْ تَنْزِلِ الأَمْطَارِ

لَمْ تُورِقْ الأَشْجَارَ

لَمْ تَلْمَعْ الأَثْمَارَ...

.....

حِينَ فَقَدْنَا هَدْأَةُ الجَنْبِ

عَلَى فِرَاشِ الرِضا الرَحْبِ

نَامَ عَلَى الوَسَائِدِ[1]

شَيْطَانَ بَعْضِ فَاسِدٍ

مُعَانِقِ ،شَرِيكَ مَضجِعِي...

إذن نحن في نظر الراوي الشاعر، افتقدنا رضانا بقضاء الله، فتشوهت حياتنا، وأصبحنا بعد أن أخذ الشعر ينمو في محاور العيون، جيلا من الشياطين ويمضي الشاعر قائلا على لسان بشر:

تَعَالَى اللَه هَذَا الكَوْنَ مَوْبُوءٌ وَلَا بَرْئٌ

[1]- **ديوان أحلام الفارس القديم، صلاح عبد الصبور، ج1، ص 267.**

وَلَوْ يُنْصِفُنَا الرَّحْمَنَ عَجَلَ نَحْوَنَا بِالمَوْتِ...

فرأى صلاح قصة بشر الحافي بعد أن مال إلى التصوف، فبشر كما يذكر الشاعر *مشى يوما في السوق، فأفزعه الناس فخلع نعليه ووضعها تحت إبطه، وانطلق يجري في الرمضاء، فلم يدركه أحد وكان ذلك سنة سبع وعشرين ومائتين[1].

وهذه القصيدة تبدو وكأنها مقدمة لظهور الحلاج ومذهب الخير المطلق، فالصوفية في هذه الشخصية تصلح لتفسيرات الرتبات الوجدانية.

د- مسرحية الحـــــلاج:

إن البطل في مأساة الحلاج يتحمل أعباء المسؤولية حتى في ساعة الخطر المحدق، يقول مخاطبا الشبلي:

لَا إِنِي أَشْرَحُ لَكَ

لَمْ يَخْتَارُ الرَحْمَنُ شُخُوصًا مِنْ خَلْقِهِ

لِيَقْرِفَ فِيهِمْ أَقْبَاسًا مِنْ نُورِهِ

هَذَا... لِيَكُونُوا مِيزَانَ الكَوْنِ المُعْتَلِ

وَيَفِيضُوا نُورَ اللهِ عَلَى فُقَرَاءِ القَلْبِ

وَكَمَا لَا يَنْقُصَ نُورَ اللهِ إِذَا فَاضَ عَلَى أَهْلِ النِعْمَةِ

[1]- ديوان أحلام الفارس القديم، صلاح عبد الصبور، ج1، ص 268.

لَا يَنْقُصُ نُورَ المَوْهُوبِينَ إِذَا مَا فَاضَ عَلَى الفُقَرَاءِ

وفي مكان آخر:

الحَلَاجُ هَبْنَا جَانِبَنَا الدُنْيَا

مَا نَصْنَعُ عِنْدَئِذٍ بِالشَرِّ؟ !

الشَبْلِي: الشَرُّ

مَاذَا تَعْنِي بِالشَرِّ؟

الحَلَاجُ : فَقْرُ الفُقَرَاءِ[1]

استقى صلاح مسرحيته من التاريخ وأعاد صياغة الأحداث بتشكيل جديد يتفق ومجابهة الشاعر لها، فكان الحلاج هو القناع أو البديل الموضوعي للشاعر في معاناته، ولعله تعبيرا عن أزمة صلاح عبد الصبور ومأساته الخاصة، أكثر من كونه تعبيرا عن الحلاج ذي التحليلات والشطحات.

من هنا أكد عبد الصبور على كون الحلاج – في مسرحيته، شاعرا وذلك حتى يلازم بين الشعر والموقف، وانه يشير إلى دور الشعر في بناء الإنسان، وفي عذابه أو خلاصه، وبما أن صلاح عبد الصبور سلك درب الشعر فقد رأى أن يجعل قناعه أو شخصيته التي تعالج حياتها جزءا من واقعه هو حيث أنه ألبس الحلاج ثوبا سقراطيا يعكس مزاجه[2].

[1]- ديوان مأساة الحلاج، صلاح عبد الصبور، ج1، دار الأدب، بيروت، د.ط 1969، ص 469.

[2]- المرجع نفسه ، ص 471.

هـــ- أعماله الأخيرة :

وتتبدى ثقافة صلاح الصوفية كذلك أعماله الأخيرة استمرارا وتطويرا، ففي مقدمته لقصيدة *البحث عن وردة الصقيع* يستشهد ب *موتو* أو تعليقه للقصيدة بقول ابن عربي*1075م-1148م* وكأنه يريد أن يؤكد لنا منهجه هو في كتابه الشعر:

ولم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية والتنازلات الروحية والمناسبات العلوية جريا على طريقتنا المثلى[1].

وفي قصيدة * ذكرى الدرويش عبادة* الذي كان ضلا قلقا مجنونا، كان واختفى نجد معالم الصوفي الحائر:

كَانَ كَثِيرًا مَا يَحْلُمُ

حَتَى تُصْبِحَ رُؤْيَاهُ أَشْبَاحًا مُرْتَبِكَة

أَو أَشْكَالًا مُشْتَبِكَة

أَوْ أَصْوَاتًا مُتَدَاغِمَة لَا تُفْهَمُ.

أَسْأَلُ أَحْيَانًا

هَلْ كَانَ يَرَى مَا لَا نَصْبِرُ

أَمْ يَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُ

[1]- شجرة الليل صلاح عبد الصبور، دار الوطن العربي، القاهرة، د.ط 1972، ص22.

أَمْ كَانَ يَحِسُ بِأَنَ خُيُولَ الزَمَنِ العَاتِي

خَلْفَ خُطَانَا تَتَقَدَمُ ؟ [1]!

وقطعا فهنا نلمح الفرق بين عبادة وبين الشيخ محي الدين أول صوفي يبرز في شعره عبد الصبور، فالأول كان علامة الحيرة، بينما الثاني كان علامة الصفاء، والحيرة تظل صوفية عبد الصبور صوفية إيجابية بناءة وملتزمة، صوفية تأتت بعد معاناة وحزن، أو كما سبق وأن قلنا بعد أمل ، وهذه الصوفية كما تجلت في مسرحية مأساة الحلاج قد أضفت بعدا جديدا على الصوفية، أو قل تفسيرا جديدا لمواقف وحالات ومقامات، فجعل الوجد متحركا يقاوم البشر وجعل البطل يقبل على صلبة تضحية وبطولة وكأنه المسيح في العقيدة المسيحية، فلا يتراجع عن كلمات، وتبدأ حياته بالكلمة وتنتهي بالموت[2].

[1]- شجرة الليل صلاح عبد الصبور، دار الوطن العربي، القاهرة، د.ط 1972، ص22.

[2]- المرجع السابق ،ص102.

المبحث الأول : قصيـــدة النـــاس في بـــلادي:

النَاسُ فِي بِلَادِي جَارِحُونَ كَالصُقُورِ

غِنَاؤُهُم كَرَجْفَة الشِتَاء فِي ذَؤَابَة الشَجَرِ

وَضَحِكُهُمْ يَئِزُ كَاللَهِيبِ فِي الحَطَبِ

خَطَاهُمُو تُرِيدُ أَنْ تَسُوخَ فِي التُرَابِ

وَيَقْتُلُونَ، يَسْرِقُونَ، يَشْرَبُونَ، يَجْأَشُونَ

لَكِنَّهُمْ بَشَرٌ

وَطَيِّبُونَ حِينَ يَمْلِكُونَ قَبْضَتِي نُقُود

وَمُؤْمِنُونَ بِالقَدَرِ

* * *

وَعِنْدَ بَاب قَرْيَتِي يَجْلِسُ عَمِى (مُصْطَفَى)

وَهُوَ يُحِبُ الْمُصْطَفَى

وَهُوَ يَقْضِّى سَاعَةً بَيْنَ الأَصِيلِ وَالمَسَاءِ[1]

وَحَوْلَهُ الرِجَالُ وَاجِمُون

يَحْكِى لَهُمْ حِكَايَةَ.. تَجْرُبَةَ الحَيَاةِ

حِكَايَة تُثِيرُ فِي النُفُوسِ لَوْعَةَ العَدَمِ

[1]- **ديوان الناس في بلادي – صلاح عبد الصبور – دار العودة، بيروت – لبنان- ط1- 1972، ص 28.**

وَتَجْعَلُ الرِجَالَ يَنْشُجُونْ

وَيَطْرُقُونْ

يُحَدِقُونَ فِي السُكُونِ

فِي لُجَةِ الرُعْبِ العَمِيقِ، وَالفَرَاغِ، وَالسُكُونِ

"مَا غَايَةُ الإِنْسَانِ مِن أتعَابِه، مَا غَايَةُ الحَيَاة؟

يَا أَيُهَا الإِلَهُ!!

الشَمْسُ مُحْبَلاَكَ ، وَالهِلاَلُ مَفرَقَ الجَبِينْ

وَهَذِهِ الجِبَالُ الرَاسِياتُ عَرْشُكَ المَكِين

وَأَنْتَ نَافِذُ القَضَاءِ أَيُهَا الإِلَه

بنى فلانٌ ، وَاعْتَلَى ، وَشَيَدَ القِلَاعْ[1]

وَأَرْبَعُونَ غُرْفَةً قَدْ مَلَئت بِالذَهَبِ اللَمَاعِ

وَفِى مَسَاءِ وَاهِنِ الأَصْدَاءِ جَاءَهُ عِزْرِيل

يَحْمِلُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ دَفْتَرًا صَغِير

وَمَدَ عزرَيلُ عَصَاه

بِسِرٍّ حَرَ فِي "كُنْ" ، بِسر لَفْظِ "كَانَ

وَفِى الجَحِيمِ دُحْرجَتْ رُوحُ فُلَانْ

[1]- ديوان الناس في بلادي – صلاح عبد الصبور – دار العودة، بيروت – لبنان- ط1- 1972، ص 29.

(يَا أَيُهَا الإِلَهُ...

كَمْ أَنْتَ قَاسٍ مُوحِشُ أَيُهَا الإِلَهُ

* * *

بِالأَمْسِ زُرْتُ قَرْيَتِي ، قَدْ مَاتَ عَمِي مُصْطَفَى

وَوَسَدُوهُ فِي التُرَابِ

لَمْ يَبْتَنِ القِلاَعَ (كَانَ كُوخُهُ مِنْ اللَبَنِ)

وَسَارَ خَلْفَ نَعْشِهِ القَدِيمْ

مَنْ يَمْلُكُونَ مِثْلَهُ جِلْبَابَ كَتَانٍ قَدِيْم

لَمْ يَذْكُرُوا الإِلَهَ أَو عَزْرِيل أَو حُرُوفَ (كَانَ)

فَالعَامُ عَامُ جُوعْ

وَعِنْدَ بَابِ القَبْرِ قَامَ صَاحِبِي خَلِيلْ

حَفِيدُ عَمِي مُصْطَفَى

وَحِينَ مَدَ لِلسَمَاءِ زِنْدَهُ المَفْتُول

مَاجَتْ عَلَى عَيْنِيهِ نَظْرَةُ اِحْتِقَارْ

فَالعَامُ عَامُ جُوعْ....[1]

[1]- المرجع نفسه، ص **31.**

لمحـــة عـــن القصيـــدة:

هذه القصيدة من الشعر الحر وهي بعنوان * الناس في بلادي* ويروي فيها الشاعر قصة القروي مصطفى ليعبر عن مشاعر إنسانية عالمية.

إذ يرى صلاح عبد الصبور أن التجربة الإنسانية تبدأ بولادة الإنسان متحير عن وجوده في هذه المرحلة في الحياة يبحث الإنسان عن أجوبة أسرار العالم من خلال الدين والفلسفة وفي نهاية الرحلة يموت كل إنسان من هذا المنطلق يكتب شاعرنا قصيدته إذ أنها تحمل في طياتها الحس الصوفي إذ هو ظاهرا بوضوح من خلال بطلها *مصطفى* ورموز الوجود والحديث عن الحياة والموت والدنيا والآخرة، والخوف من العقاب، فالشاعر يرى أن التصوف هو الطريق الوحيد لكسب الآخرة.

أ- دراســـة فنيـــة للقصيـــدة:

الشرح :

المقطع الأول:

النَاسُ فِي بِلَادِي جَارِحُونَ كَالصُقُورِ

غِنَاؤُهُم كَرَجْفَة الشِتَاء فِي ذَؤَابَة الشَجَرِ

وَضَحِكُهُمْ يَئِزُ كَاللَهِيبِ فِي الحَطَبِ[1]

[1]- ينظر ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت- لبنان – ط2/1ذ- 197، ص 29.

خَطَاهُمُو تُرِيدُ أَنْ تَسُوخَ فِي التُرَابِ

وَيَقْتُلُونَ، يَسْرِقُونَ، يَشْرَبُونَ، يَجْشئونَ

لَكِنَّهُمْ بَشَرٌ

وَطَيِّبُونَ حِينَ يَمْلِكُونَ قَبْضَتِي نُقُودٍ

وَمُؤْمِنُونَ بِالقَدَرِ[1]

الشرح:

في هذا الجزء من القصيدة يكتب شاعرنا عبد الصبور عن شعبه بشكل عام *إذ يصفه بصفات مثل: جارحون، يئزون، علاوة على ذلك فإن سلوكهم يجعلهم يقتلون، يسرقون، يشربون، يجشئون*[2]، لكنهم طيبون حين يتحسن حالهم إضافة إلى ذلك مؤمنون.

فالشاعر هنا وصف شعبه بصفات ذميمة لوضح حالة معيشتهم كما وصفهم بصفات طيبة وبين سبب طيبتهم وايمانهم وهو تحسن حالهم بحصولهم على المال.

خصائص أسلوب الشاعر الفنية البارزة في هذا المقطع:

استخدام الصور البيانية كالتشبيه وذلك عندما يصف شعبه فيقول * جارحون كالصقور*، *غناؤهم كرجفة الشتاء في ذؤابة الشجر*، *ضحكهم يئز كاللهيب في الحطب*.

[1] - ينظر ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت- لبنان – ط2/1ذ- 197، ص 30.

[2]- قصيدة الناس في بلادي، عالمية الأدب والتجربة الإنسانية، الموقع: مصطفى romanticrevolutionnary.blogspot.com

- استخدام المحسنات البديعية نحو: يقتلون، يسرقون، يشربون،يجشئون.

- سهولة الألفاظ والتراكيب اللغوية ومناسبتها للموضوع، نحو مؤمنون، القدر، طيبون، جارحون....

المقطع الثانـــــي:

وَعِنْدَ بَاب قَرْيَتِي يَجْلِسُ عَمِى (مُصْطَفَى)

وَهُوَ يُحِبُ الْمُصْطَفَى

وَهُوَ يَقْضِّى سَاعَةً بَيْنَ الأَصِيلِ وَالمَسَاءِ

وَحَوْلَهُ الرِجَالُ وَاجِمُون

يَحْكِى لَهُمْ حِكَايَةَ.. تَجْرُبَةَ الحَيَاةِ

حِكَايَة تُثِيرُ فِي النُفُوسِ لَوْعَةَ العَدَمِ

وَتَجْعَلُ الرِجَالَ يَنْشُجُونْ

وَيَطْرُقُونْ

يُحَدِقُونَ فِي السُكُونِ

فِي لُجَةِ الرُعْبِ العَمِيقِ، وَالفَرَاغِ، وَالسُكُونِ[1]

[1]- **ينظر- ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور ص29.**

"مَا غَايَةُ الإِنْسَانِ مِن أتعَابِه، مَا غَايَةُ الحَيَاة؟

يَا أَيُهَا الإِلَهُ!!

الشَمْسُ مُجتلاَكَ ، وَالهِلاَلُ مَفرَقَ الجَبِينْ

وَهَذِهِ الجِبَالُ الرَاسِياتُ عَرْشُكَ المَكِين

وَأَنْتَ نَافِذُ القَضَاءِ أَيُهَا الإِلَه

بنى فلانٌ ، وَاعْتَلَى ، وَشَيَدَ القِلَاعْ

وَأَرْبَعُونَ غُرْفَةً قَدْ مَلَئت بِالذَهَبِ اللَمَاعِ

وَفِى مَسَاءِ وَاهِنٍ الأَصْدَاءِ جَاءَهُ عِزْرِيل

يَحْملُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ دَفْتَرًا صَغِير

وَمَدَ عزرَيلُ عَصَاه

بِسِرٍّ حَرَ فِي "كُنْ" ، بِسر لَفْظِ "كَانَ"

وَفِى الجَحِيمِ دُحْرجَتْ رُوحُ فُلَانْ

(يَا أَيُهَا الِإلَهُ...

كَمْ أَنْتَ قَاسٍ مُوحِشُ أَيُّهَا الإِلَهُ) [1]

[1]- ينظر- ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور ص29.

الشـــــــرح:

في هذا المقطع يتحدث الشاعر عن شخص خيالي اسمه مصطفى، وهنا تظهر البدايات الأولى للتصوف *إذ يعطي عبد الصبور دور البطل للشخص مصطفى، أولا من أجل إيقاع القصيدة، وثانيا اسم مصطفى له دلالة دينية، مثل الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث يقود مصطفى مجموعة من القرويين عندما يناقشون مواضيع مختلفة عن تجربة الحياة، تأثير المناقشة يجعل الرجال يبكون حيث يستخدم الشاعر آيات دينية مختلفة مثل الشمس والهلال والجبال، وهي تشير إلى رموز إسلامية تدل على والوجود وعظمت الله *[1]، حيث أن تذكرهم بالموت يأرقهم * لذلك القدرية موضوع مهم للبشر إذ يعطي الشاعر نموذج عن كيفية أن ثروة الإنسان لا تفيد في الآخرة، وهي إشارة إلى أن الآخرة مرحلة مختلفة تماما عن هذه الدنيا، وأخيرا يعبر الشاعر عن رغبة من خلال مصطفى وذلك عند قوله:* يا أيها الإله كم أنت قاس موحش يا أيها الإله*[2].

وهنا يوضح ويبين الشاعر أن الحياة فانية رغم كل شيء بإضافة على أنه يبرز رعب وخوف الإنسان من موته وفنائه.

خصائص أسلوب الشاعر الفنية البارزة في هذا المقطع

استخدام الأساليب الإنشائية كالاستفهام ك: *ما غاية الإنسان من أتعابه ما غاية الحياة؟*

والنداء نحو :*يا أيها الإله !!*.

استخدام الصور البيانية كالاستعارة المكنية نحو: * في الجحيم دحرجت روح فلان*

[1] - قصيدة الناس في بلادي، عالمية الأدب والتجربة الإنسانية، الموقع: مصطفى romanticrevolutionnary.blogspot.com
[2] - المرجع نفسه.

استخدام المحسنات البديعية كالجناس، نحو: *بسر حرفي*كن*ن بسر لفظ *كان*، وهو جناس ناقص .

سهولة الألفاظ ووضوحها وملائمتها للموضوع: الإله، عزريل، الرعب، الفراغ، السكون، ينشجون.

المقطع الثالث:

بِالأَمْسِ زُرْتُ قَرْيَتِي ، قَدْ مَاتَ عَمِي مُصْطَفَى

وَوَسَدُوهُ فِي التُرَابِ

لَمْ يَبْتَنِ القِلاَعَ (كَانَ كُوخُهُ مِنْ اللَبَنِ)

وَسَارَ خَلْفَ نَعْشِهِ القَدِيمْ

مَنْ يَمْلُكُونَ مِثْلَهُ جِلْبَابَ كَتَانٍ قَدِيْم

لَمْ يَذْكُرُوا الإِلَهَ أَو عَزْرِيل أَو حُرُوفَ (كَانَ)

فَالعَامُ عَامُ جُوعْ

وَعِنْدَ بَابِ القَبْرِ قَامَ صَاحِبِي خَلِيلْ

حَفِيدُ عَمِي مُصْطَفَى[1]

[1]- **ينظر- ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور ص30.**

وَحِينَ مَدَ لِلسَمَاءِ زِنْدَهُ المَفْتُول

مَاجَتْ عَلَى عَيْنِيهِ نَظْرَةُ اِحْتِقَارْ

فَالعَامُ عَامُ جُوعْ....[1]

شرح المقطـــــع:

في هذا المقطع يبين الشاعر* نهاية كل إنسان من خلال وفاة العم مصطفى وذلك ليعمم كيف أن رحلة الحياة تنتهي بنفس الصيغة عندما يموت محبوب في أي مكان.

فالعائلة تشعر بالاحتقار، فالموت هو الذي يجعل الناس يشكون في رحمة الهمم*[2]، ويعطي الشاعر مثالا من ذلبك عندما يصف مشاعر حفيد مصطفى خليل حين مد زنده المفتول للسماء ماجت عينه بنظرة احتقار وأذن في هذا المقطع يبين الشاعر أن النهاية معروفة لكل إنسان وهي الموت وإحساسهم بأنهم ضعفاء.

خصائص أسلوب الشاعر الفنية البارزة في هذا المقطع:

- استخدام الأسلوب الإنشائي كالنفي مثل: لم يذكروا الإله..
- استخدام المحسنات البديعية كالجناس نحو: فالعام عام .
- سهولة الألفاظ ومناسبتها للموضوع: مات، نعشه، القديم، القبر، جلباب، كتان قديم.

[1] ينظر ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور، ص30.

[2] - قصيدة الناس في بلادي، عالمية الأدب والتجربة الإنسانية، الموقع: مصطفى romanticrevolutionnary.blogspot.com

دراسة إيقاعية للقصيدة:

يظهر المستوى الإيقاعي للقصيدة في اختيار الشاعر بحرا إيقاعيا سهلا ألا وهو بحر * الهزج* صاحب قافية*مفاعلين، مفاعلين*: أو عند باب | قريتي | يجلس | عمي | مصطفى

مفاعلن مفاعلن مفعل مفعل مفعلن

أضف على ذلك اختيار الكلمات والأحرف التي امتزجت مع موضوع القصيدة، فلو تجولنا داخل القصيدة لوجدنا أن الشاعر ذكر جملا من الأصوات والأحرف التي تناسب مقصد ومقام القصيدة مثل: الحياة، الموت، القبر، الجلباب، الإله...

كما نجده استعمل حرف الراء، بكثرة إذ تكرر في كثير من موقع وهذا الحرف يوحي بالتعاقب والحركة وهذا ما وجدناه في سرد أحداث هذه القصيدة.

ب دراسة أدبية للقصيدة:

1- الأفكـــــار

هذا النص يندرج ضمن فن الشعر الحر وغرضه الوصف، وأفكاره جاءت واضحة خالية من الغموض والتعقيد، فهي بسيطة، يبتدئها الشاعر بوصف مدينته وشعبه، ثم ينتقل إلى التحدث عن شخص أسماه مصطفى لموضوعه في ذلك فكره الصوفي ، ثم يصف حال الرجال المتواجدون مع العم مصطفى، وأخيرا يختم بموت العم مصطفى ويبين ردة فعل حفيده.

2- العاطفـــــة

تبدو عواطف الشاعر صادقة، إذ نجدها هذه العاطفة في وصفه لشعبه وشعوره بالألم تجاه ما يحصل لهم، وعاطفة حب للعم مصطفى حزن لما يحصل في نفوس الرجال بعد الحكاية لهم ويختم بعاطفة قهر وحسرة وحزن لوفاة العم.

3- الأسلـــــوب

يمتاز النص بسهولة الألفاظ واختيار التراكيب والملازمة لمضمونه مثل: * الناس في بلادي جارحون كالصقور، طيبون حين يملكون قبضتي نقود*، عند باب قريتي يجلس عمي مصطفى، وهو يقص ساعة بين أصيل ومساء يحدقون في السكون، الفراغ، مات عمي مصطفى ما جت على عينه نظرة احتقار...*

وقد مزج الشاعر في هذه القصيدة بين الأسلوب الخبري والإنشائي فمن الخبرية نجد* زرت قريتي قد مات عمي مصطفى، وعند باب القبر قام صاحبي خليل ،سار خلف نعشه القديم...*

أما الأساليب الإنشائية فتظهر في: * ما غاية الإنسان من أتعابه؟ ما غاية الحياة؟ يا أيها الإله !!

أما عن خيال الشاعر فقد اعتمد على الصور البيانية نذكر منها:

التشبيه * ضحكهم يئز كاللهب * حيث أن الشاعر شبه ضحك شعبه كاللهب فذكر لنا المشبه وهو الضحك وذكر المشبه به وهو اللهب وجعلنا بينهما أداة للتشبيه وهي الكاف.....

أما البديع، فنجده في توظيف الجناس ك: كن، كان، وهو جناس ناقص

كما نجد الطباق في طيبون، يقتلون وهو طباق الإيجاب.

المبحث الثانـــي :قصيـــدة الخـــروج:

أَخْرُجُ مِن مَدِينَتِي ،مِنْ مَوْطِنِي القَدِيمْ

مطرِّحًا أَثْقَالَ عَيشِي الأَلِيمْ

فِيهَا ،وَتَحْتَ الثَوْبِ قَدْ حَمِلْتُ سِرِي

دَفَنْتُهُ بِبَابِهَا، ثُمَ اِشْتَمَلَتْ بِالسَمَاءِ وَالنُجُومِ

أَنْسَلُّ تَحْتَ بَابِها بِلَيلْ

لاَ آمَنُ الدَلِيلَ ،حَتَى لَوْ تَشَابَهَتْ عَلَي طَلْعَة الصَحْرَاء

وَظَهْرُهَا الكَتُوم

* * *

أَخْرُجُ كَالَيتِيم

لَمْ أَتَخَيَر وَاحدًا مِنَ الصِحَابْ

لِكَي يَفْـــــدِينـــــي بِنَفْسِه ،فَكُل مَا أُرِيدُ قتلَ نَفْسِي الثَقِيلَة

و لَمْ أُغَادِرْ في الفِراشِ صاحِبِي يُضَلِلُ الطُلابْ

فَلَيْسَ مَن يَطلُبُني سِوى "أنا" القديم [1]

[1]- **ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور، دار المعرفة، القاهرة، ط2- 1962، ص 235.**

حِجَارَة أَكُون لَو نَظَرتُ لِلورَاء

حِجَارَة أَصْبَحُ أَوْ رَجُومْ

سوخي إذن في الرمل ،سيقانَ الندمْ

لا تتبعيني نَحو مَهْجَرِي ،نَشُدتُك الجحيمْ

وانطفـــــئي مصابحَ السَمَاء

كي لَا تَرَى سَوَانحُ الأَلَم

ثيابي السوداءْ

تحجري كقلبك الخبيء يا صحراء

ولِتُنْسِيَ آلَام رحلتك

تذكار ما أطرحت من آلامْ

حَتَى يَشْفَ جِسْمِي السَقِيمْ

إن عذاب رحلتي طهارتي

والموت في الصحراء بحثي المقيم[1]

* * *

[1]- المرجع نفسه، ص 235.

لو مت عشت ما أشاء في المدينة المنيرة

مدينة الصحو الذي يزخر بالأضواء

والشمس لا تفارق الظهيرة

أواه يا مدينتي المنيرة

مدينة الرؤى التي تشربُ ضوءا

مدينة الرؤى التي تمجُ ضوءا

هل أنتِ وَهْمُ وَاهِم تَقَطَعَت بِهِ السُبُلْ

أم أنتِ حقْ؟

أم أنتِ حق؟[1]

لمحـــة عـــن القصيـــدة:

تعتبر هذه القصيدة من القصائد الصوفية لدى عبد الصبور، حيث يتحدث في حالته والمفارقة التامة للرسول عليه الصلاة والسلام، حيث أن معاني الشاعر مفارقة لمعاني الهجرة بما في ذلك عنوان القصيدة، وهذا ما سنتعرض له في تحليلنا لهذه القصيدة.

[1]- المرجع نفسه، ص 236-237

أ- دراسة فنية للقصيدة :

شرح القصيدة:

المقطع الأول:

أَخْرُجُ مِن مَدِينَتِي ،مِنْ مَوْطِنِي القَدِيمْ

مطرِّحًا أَثْقَالَ عَيشِي الأَلِيمْ

فِيهَا ،وَتَحْتَ الثَوْبِ قَدْ حَمِلْتُ سِرِي

دَفَنْتُهُ بِبَابِهَا، ثُمَ اِشْتَمَلَتْ بِالسَمَاءِ وَالنُجُومِ

أَنْسَلُّ تَحْتَ بَابِها بِلَيلْ

لاَ آمَنُ الدَليلَ ،حَتَى لَوْ تَشَابَهَتْ عَلَي طَلْعَة الصَحْرَاء

وَظَهْرُهَا الكَتُوم[1]

الـــشـــــرح

في هذا المقطع يهجو الشاعر مدينته* حيث يعلن الخروج منها يذكر صفاتها أنا مدينته وموطنه وأنها قديمة والقدم لا يشير إلى عمر الإنسان الزمني، لكنه أبعد من ذلك، حيث يحاول الشاعر الخروج من مدينته والانسلاخ منها وهو يحاول الخلاص من السر وسره مفروض عليه، والشاعر يحاول الخلاص من العيش الأليم، وهو يقصد حياة العمر المادي والخروج هو محاولة

[1] - ينظر ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور، دار المعرفة، القاهرة، ط21962، ص235.

الانفكاك والعودة إلى الفطرة، وهذه المحاولة للتجرد من الحياة التي فرضت عليه وهي الصورة مفارقة لصورة الهجرة*[1]. حيث يجعل شخصيته مفارقة لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ويشبه خروجه من المدينة وتوجههم إلى الصحراء بهجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، ويعتقد أن ألم الصحراء أخف عليه وأرحم به مما يعيش فيه وهو يرى نفسه بلا هوية بالإضافة إلى خوفه من مستقبله بينما الرسول عليه الصلاة والسلام يعرف وجهة مساره وهنا تبرز المفارقة أكثر.

خصائص أسلوب الشاعر الفنية البارزة في هذا المقطع:

- استخدام الشاعر عدة صور بيانية تتمثل هذه الأخيرة في الاستعارة، نحو :* أنسل تحت باهابليل ،تحت التوب حملت سري.

- سهولة الألفاظ والتراكيب اللغوية ومناسبتها للموضوع، نحو: *اخرج من مدينتي، اشتملت بالسماء، والنجوم، انسل تحت باها بليل، الكتوم، الألم.

المقطع الثانـــــي

أَخْرُجُ كَالَيتِيم

لَمْ أَتَخَيَر وَاحدًا مِنَ الصِحَابْ

لِكَي يَفْـــــدِينـــــي بِنَفْسِه ،فَكُل مَا أُريدُ قتلَ نَفْسِي الثَقِيلَة

و لمْ أُغَادِرْ في الفِراشِ صاحِبِي يُضَلِلُ الطُلابْ

[1] - تشريح النص – عبد الله الغذامي- المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء-المغرب،ط2-2006، ص 154-155

فَلَيْسَ مَن يَطلُبُني سِوى "أنا" القديم

حِجَارَة أَكُون لَو نَظَرتُ لِلورَاء

حِجَارَة أَصْبَحُ أَوْ رَجُومْ[1]

شرح القصيـــــدة:

في هذا المقطع يواصل الشاعر مفارقته* حيث بين أن الرسول عليه الصلاة والسلام يمثل الحقيقة وهو يمثل ضل الحقيقة فهو كاليتيم وليس يتيما ويوضح انه نفسه مرهقة ويائسة ولا شيء يخلص من عنائها إلا لجوؤه إلى الصحراء التي قد تنسيه قساوتها شعوره بالإثم كما أن الشاعر يشير في هذا المقطع إلى قصة لوط عليه السلام من خلال قوله * حجارة أصبح أو رجوم، لقول الله تعالى: فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ [82] مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [83] :هود

وهنا كذلك ليكاد الشاعر أن ينطق بكلمة سدوم بدلا من رجوم*[2]

"وسدوم هي مدينة قوم لوط تلك المدينة الآثمة، فكان إثم المدينة أحكمت وثاق الشاعر حتى أوشكت أن تخيفه وليس الشاعر إلا أن يهرب منها فيسري في ليل وهذا هو سبيل النجاة".[3]

إذن في هذا المقطع تأزم حال الشاعر فهو لا يزال في ضيق وفي شعور قاس وهو الشعور الآثم فهو لا يزال يؤكد بشدة مفارقته الرسول عليه الصلاة والسلام وليس هناك حل سوى الهروب إلى صحراء وآلامها.

[1] - ينظر ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور، ص235.
[2] - تشريح النص، عبد الله الغذامي، ص156-157.
[3] - المرجع نفسه، ص 158.

خصائص أسلوب الشاعر الفنية في هذا المقطع:

- استخدام الشاعر الصور البيانية كالتشبيه نحو:* اخرج كاليتيم*
- استخدام الأساليب الإنسانية كالنفي" لم أغادر في الفراش صاحبي يظلل الطلاب."
- وضوح الألفاظ وملاءمتها للموضوع مثل، كاليتيم، في الفراش، صباحي، رجوم، يظلل الصحاب.

المقطـــــع الثالث:

سُوخي إذن في الرمل ،سيقانَ الندمْ

لا تتبعيني نَحو مَهْجَرِي ،نَشُدتُك الجحيمْ

وانطفـــــئي مصابحَ السَمَاء

كي لَا تَرَى سَوَانحُ الأَلَم

ثيابي السوداءْ

تحجري كقلبك الخبيء يا صحراء

ولِتُنْسِيَ آلَام رحلتك

تذكار ما أطرحت من آلامْ

حَتَى يَشْفَ جِسْمِي السَقِيمْ

إن عذاب رحلتي طهارتي

والموت في الصحراء بعتي المقيم[1]

[1] - ينظر ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور، ص 235-236

الشـــرح:

في هذا المقطع من القصيدة يطالب الشاعر من مدينته ألا تشبعه * كما يطالب من مصابيح السماء أن تنطفئ لأنها من الدليل وهو لا يؤمن بالدليل وذلك لأن اشتعالها يفوت عليه نعمة الاشتمال بالظلماء ومن ثم يبعده عن الفطرة، كما تبرز لنا كلمة المهجر في هذا المقطع الأول مرة وهي تمثل له انبثاق الأمل في قصيدته، أي أن الخروج هو الهجرة والعودة هي الخطيئة، ولقد استعمل الشاعر كلمة *السوانح* وهي ليست سوى المدينة القديمة التي مازالت تطارده على الرغم من انسلاخه منها وتجرده من كل ما له بها من صلة، ولكنها تظل هاجسا مشؤوما لا يجد الشاعر منه مفرا إلا بأن يغوص في أعماق الظلام.*[1]

إذن فالشاعر هنا يواصل هروبه إلى الصحراء بدون أي دليل وذلك لأنه لا يؤمن بذلك ولكن في آخر هذا المقطع، يصل الشاعر إلى حل لمشكلته التي أرهقته وهو مواصلته الهروب والانسلاخ.

خصائص أسلوب الشاعر الفنية البارزة في هذا المقطع:

- استخدام الصور البيانية * لا تتبعني نحو مهجري*، * تحجري كقلبك الخبيء يا صحراء*، والكناية في قوله:*وانطفئي مصابح السماء*.
- استخدام المحسنات البديعية كالطباق * يشف، السقيم*.
- استخدام الأساليب الإنشائية كالأمر مع النداء نحو *تحجري كقلبك الخبيء يا صحراء*.

[1] - تشريح النص، الغدامي عبد الله، ص.158

- الألفاظ سهلة وواضحة ومناسبة لمضمون المقطع نحو: النجم، مهجري، الجحيم، الألم، السقيم...

المقطع الرابع والأخير:

لو مت عشت ما أشاء في المدينة المنيرة

مدينة الصحو الذي يزخر بالأضواء

والشمس لا تفارق الظهيرة

أواه يا مدينتي المنيرة

مدينة الرؤى التي تشربُ ضوءا

مدينة الرؤى التي تمجُ ضوءا

هل أنتِ وَهْمُ وَاهِم تَقَطَعَت بِهِ السُبُلْ

أم أنتِ حقْ؟

أم أنتِ حق؟[1]

شرح المقطع:

في هذا المقطع تغيرت فكرة الشاعر حيث * أخذ الشاعر يجسد بعض القيم الإنسانية لمدينته، فالطريق إليها هو الاستماتة والموت، ويظهر ذلك جليا في الأبيات الموالية، حيث أصبح لا يفارق الشمس والشمس لا تفارقه ولقد صارت الحياة له ظهرا دائما، كما أنه ينشد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، مدينة الوحي والنصر والعزة للعرب، مدينة الهجرة التي تمثل انبثاق الضياء

[1] - ينظر ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور، ص، 236

وانتصار الحق، وهو هنا كشف عن سره بعد أن تجاوز زمان الوهم ووقف على باب الحقيقة وأصبح الموت في مدينة المنيرة حياة.*[1]

بهذا المقطع يختم الشاعر قصيدته وهو قد غير وجهة نظره حول الحياة وحول مدينة حيث أصبحت مدينته أجمل ما يكون في نظره وقد تخلص من شعوره وضميره الآثم.

خصائص أسلوب الشاعر الفنية البارزة في هذا المقطع:

- استخدام الأساليب الإنشائية كالنداء " أواه يا مدينتي المنيرة"، والاستفهام *هل أنت وهم واهم تقطعت به السبل*.
- استخدام المحسنات البديعية، كالجناس: *هل أنت وهم واهم تقطعت به السبيل".
- استخدام الصور البيانية، كالاستعارة نحو *مدينة الرؤى التي تمج ضوءا*.
- وضوح الألفاظ والتراكيب اللغوية ك:* مدينة الصحو، مدينة الرؤى، المدينة المنيرة، يا مدينتي*.

دراسة إيقاعية للقصيدة:

بنى الشاعر موسيقى هذه القصيدة على بحر الرجز " مستفعلن"، ولكن الشاعر استثمر كل ما يمكن وروده في هذا الوزن من زحافات، فجاء وزنه متنوعا ومختلفا، ولكن الشاعر يدرك تماسك الوزن بعد أن ترك نفسه تنساب مع القصيدة فيمتلكه عندئذ.

[1] - تشريح النص، الغدامي عبد الله، ص158

إيقاع القصيدة مبني على السهولة واللين في وزنها وفي كلماتها وفي صورها وتشبيهاتها، إضافة إلى اختياره للأصوات والأحرف التي تتلاءم مع مضمون النص: مدينتي، موطني، القديم، كاليتيم، يا صحراء، آلام رحلتك.

أخرج من / مدينتي / من موطني / القديم /

مستفعل متفعلن مستفعلن متف

ب- دراســـة أدبيـــة للقصيـــدة:

1- الأفكـــــار:

تندرج هذه القصيدة تحت فن الشعر الحر وغرضها الهجاء، إضافة إلى المدح، أفكار الشاعر جاءت واضحة حيث انحصرت في استخدام الموروث الثقافي والتاريخ الإسلامي المجيد وذلك في توظيفه لقصة الهجرة النبوية الشريفة، حيث برزت قدرة الشاعر على تجسيد معانيها بأسلوب إيحائي تصوري حديث، ليصور عن طريقها حال الأمة العربية اليوم وتطلعاتها للغد، بإضافة إلى هدوؤه وانسيابه وبساطته، بهجاء نفسه وذلك بمحاولة التخلص منها بالخروج من مدينته، والانسلاخ منها والهروب إلى الصحراء وآلامها و لم تظهر نقطة الانفراج عنده حتى كاد أن ينتهي من القصيدة حيث شرع في مدح مدينته التي كان يحاول التخلص منها وأصبح يفخر العيش بها.

2- العاطفـــــة:

نجد عاطفة الشاعر واضحة وبينة وصادقة، ويظهر هذا الصدق في تصويره لنفسه التي يحاول الانسلاخ منها ومفارقته شخصيته لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، وعاطفة قهر وحسرة اتجاه نفسه وأخيرا عاطفة حب وفخر لمدينة المنيرة.

3- الأسلوب:

يمتاز النص بسهولة الألفاظ واختيار التراكيب المناسبة للموضوع بالرغم من استعمال الشاعر لبعض الرموز التي تصعب بعض الشيء، وقد مزج الشاعر في هذه القصيدة بين الأسلوب الخبري والإنساني فمن الخبرية نجد * أخرج من مدينتي، من موطني القديم*، * حجارة أصبح أو رجوم*، * حتى يشف جسمي السقيم*.

أما الأساليب الإنسانية فتظهر في * وانطفئي مصابيح السماء*، * تحجري كقلبك الخبيء يا صحراء*، * هل أنت وهم واهم تقطعت به السبل*، * أم أنت حق*. أما عن خيال الشاعر فقد اعتمد على الصور البيانية نجد منها: * أخرج كاليتيم* حيث الشاعر شبه نفسه باليتيم وذلك لأنه يخرج لوحده من المدينة دون صاحب أو صديق فذكر المشبه وهو الضمير المستتر *أنا*، وذكر المشبه به وهو اليتيم وذكر أداة التشبيه وهي * الكاف*، أما البديع، فنجده في توظيف الجناس في: وهم، واهم في * وهم واهم تقطعت به السبل*ن والطباق في * يشف جسمي السقيم: وهو طباق الإيجاب.

خاتمـــــــــــة:

وختاما قد أتممنا بحثنا بفضل الله وعونه لنا ، إذ توصلنا إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

1- أن التصوف هو من النزعات الدينية التي تؤدي إلى تصفية القلوب ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية.

2- يهدف الصوف إلى إصلاح القلوب وأفرادها لخالقها وكانت البدايات الأولى للتصوف بعد ظهور الإسلام وبالأخص بعد عصر الصحابة والتابعين، وذلك بسبب تضاؤل التأثير الروحي في الأمة الإسلامية.

3- ينبني التصوف على عدة قواعد أهمها صفاء النفس ومحاسبتها.

4- من ناحية الخصائص، فإن أهم خصائص التصوف تكمن في أنه تجربة ذاتية روحانية خالصة وتجربة صوفية ودينية وهي لا تتسم بالنسقية المنطقية وليست تجربة مشكلة إضافة إلى تجاوزها للمعرفة الإنسانية، تبرز مراتب التصوف في المريد ودرجة المتوسط السالك ودرجة المنهي.

5- تظهر أهمية التصوف في صلاح الإنسان وصلاح قلبه، وكذا اختصاصه بمعالجة الأمراض القلبية إضافة إلى اهتمامه بالعبادات البدنية والمالية، وتغيير الإنسان من شخص منحرف إلى سليم.

6- من أهم أعلام التصوف العابدة الخاشعة ، رابعة العدوية، والصوفي أبو يزيد البسطامي، والحسن بن منصور الحلاج، وعبد القادر الجيلاني، ومحي الدين بن العربي وأخيرا أبو الحسن الشاذلي.

ويعتبر صلاح عبد الصبور من أهم رواد الشعر الحر.

يتسم شعر صلاح عبد الصبور بنزعة صوفية دينية، كما أنه يتسم بسمة الهداية والتوجيه إلى الطريق الصحيح والتذكير بالموت.

7- كان عبد الصبور يجمع بين القديم والحديث، أي بين التراث والمعاصرة.

يرى عبد الصبور أن المسرح لا يكون إلا شعريا.

8- كان عبد الصبور ذا اتجاه ماركسي اشتراكي، ومن أهم دواوين صلاح عبد الصبور * الناس في بلادي*، *أقول لكم*، *سحر الليل*.

9- يمتاز شعر صلاح عبد الصبور بكثرة الصور البيانية والرموز الدينية الدالة على الأبعاد الروحية الصوفية.

وهو كثيرا ما يعتمد على بحر الزرج والهزج، حيث معظم قصائده تبنى على هذين البحرين، وهذا من الناحية الفنية.

أما من الناحية الأدبية فأفكار عبد الصبور دينية صوفية روحية، بالإضافة إلى ذلك فهي متناسقة مترابطة.

- **المصادر:**

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، الجزء 7- دار بن كثير، بيروت، د/ط، 1414هـ .

1- تاج العروس من جواهر القاموس- الزبيدي- المجلد التاسع 1817- دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان-ط1-2007م-1428هـ.

2- ديوان أحلام الفارس القديم- صلاح عبد الصبور،ج1، دار العودة، بيروت ،ط1-1973م.

3- ديوان أقول لكم صلاح عبد الصبور، ج1+2، دار العودة، بيروت،د/ط، 1977م.

4- ديوان صلاح عبد الصبور- مأساة الحلاج،ج1، دار الآداب، بيروت،د/ط 1969.

5- ديوان الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور، دار المعرفة،القاهرة، مصر،ط2، 1962.

6- الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،ج3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط4-1990.

7- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيد...، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1-2000م.

8- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق عبد السلام هارون،ج3،دار الفكر، مصر،د/ط،1989م.

- **المراجـــع:**

1- الأدب في التراث الصوفي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار غريب للطباعة "لاظوغلي"، القاهرة، مصر،د/ط، دا سنة.

2- أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية"الشعر، المسرح، القصة، النقد الأدبي"، د. محمد زكي العشماوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د/ط 2000م.

3- تشريح النص، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط2006،2م.

4- دراسات في الأدب العربي الحديث، محمد مصطفى هرارة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ-1990م.

5- دراسات في الفكر العربي الإسلامي "أبحاث في علم الكلام والتصوف والاستشراق والحركات الهدامة، عرفان عبد الحميد فتاح، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

6- حقائق عن التصوف، "الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله، التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف"، دار العرفان، حلب، سورية، ط11-2000م.

7- شجرة الليل، صلاح عبد الصبور، دار الوطن العربي، القاهرة،د/ط 1972م.

8- فلسفة التصوف من خلال النشأة والتطور، الفاعوري، تحقيق السلوادي، دار زهران، الاردن، د/ط 2010م.

9- كتاب التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير، القاهرة،ط1-2007م.

10- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار صادر، بيروت، لبنان،ط1 -2000م.

11- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د.عرفان عبد الحميد فتاح، دار الجيل، بيروت، ط 1-1413هـ-1993.

الدوريـــــات:

- جريدة المؤتمر، صلاح عبد الصور رائد الشعر الحر والدراما المصرية،"شيرين صبحي، العدد 2941- 26 آذار 2014هـ.

المواقع:

- قصيدة الناس في بلادي، عالمية الأدب والتجربة الإنسانية، الموقع:

مصطفى romanticrevolutionnary.blogspot.com

ملخـــص:

التصوف هو نزعة دينية ظهرت بعد انغماس المسلمين في الردائل، وقد انتشرت في كافة أرجاء الأمة الإسلامية بشكل كبير حتى وصلت للأدباء والنقاد، ومنهم "صلاح عبد الصبور" حيث تجسد فكره الصوفي الروحي في كافة إبداعاته الفنية بمختلف أنواعها.

Résumé :

Le mysticisme est une tendance religieuse qui a été émergé après la frénésie des musulmans dans cette tendance c'est rapandu partout dans la nation islamique d'une façon s'significatif jusqu'à ce que les écrivains et les détracteurs y. Compris Salah Abdel Sabour au incarnait l'idée de la mystique spirituelle dans toutes les différentes sortes de créations artistiques.

Summury :

Mysticism is the tendency of religions, mustims emerged after indulging in vices has spread throughout the Islamic nation significanthy Until reached the writes and critics, including Salah Abdel Sabour where every body the ides of the spiritual mystic In all different kinds of artistic creations.